

الدكتور  
صالح الأشته  
أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

# في شعر النكبة

بحث تخطيطي في أصداء  
نكبة فلسطين في الشعر  
العربي المعاصر



١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

مطبعة جامعة دمشق

مكتبة لسان العرب

<http://lisaanularab.blogspot.com/>

مكتبة لسان العرب

<http://lisaanularab.blogspot.com/>

في شعر النكبة

مكتبة لسان العرب

<http://lisaanularab.blogspot.com/>



الدكتور  
صالح الأشته  
أستاذ في كلية الآداب بجامعة دمشق

Fi shir al.makbah

# في شعر النكبة

بحث تخطيطي في أصداء  
نكبة فلسطين في الشعر  
العربي المعاصر

الطبعة الاولى

2258

1372

12

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى الأسود الرابضة في ( غيم  
العروب ) على الضفة الغوية من  
الأردن ..

إليها ، وقد استبد بها الحنين الى  
الوطن المصوب ، وأرقها انتظار  
أذان الفجر لتلي صيحة الزحف  
المقدس ..

إليها أهدي هذه الصفحات !





# تحييد

قبل ثلاثة أعوام ، كنت أطوف مع نفر من طلابي في جامعة دمشق بالضفة الغربية من الأردن ، ودخلنا معسكراً للاجئين قرياً من مدينة الخليل ، فطالعتنا وجوه من البؤس تلخص ملامحها المتمردة الياسة قصة النكبة ، ولفظت الخيام السود من جوفها أشباحاً منهوكة أقبلت تغوص في الطين الى ساحة المعسكر ، وتجمعت في صف متكسر طويل ، لترد للزائرين التحية !.

أحسست بالغصة تحرق حلقى ، وبالدمعة تتحجر في جفني ، وأنا  
أشهد هذا القطيع الآدي الزاهل ، وأيقظني من شرودي صوت دافئ  
ثائر ، انفجر من قلب أحد اللاجئين ، ينشد شعراً ينبض بالحنين الى  
الأرض الشهيدة ، ويموج بالايمان والتصميم على الشأر والعودة ،  
ونظرت الى المشردين فإذا الوجوه الصفر الشاحبة تلتقي عند الثأر على  
أمل أشاع في أديمها حمرة العزيمة ، وإذا العيون الضائعة الضامئة الى  
الانتقام ، يجمعها ذلك الشعر ، فتلتقي معه عند هدف واحد ، ويدوي  
المعسكر بزئير الغاضبين :

— إننا لعائدون !

وغامت صورة المعسكر أمام عيني الدامعتين ، ورحت أقول في  
نفسي : هذا دور الأدب في معركتنا الكبرى ، فقد استطاع الشعر  
أن يفجر من أعماق اليأس والموت والظلام شعلة الأمل والحياة ،  
وأن يعيد للأشباح الحائرة إيمانها بالنضال والنصر ؛ ومثل هذا الدور  
المجيد للشعر يستحق الرصد والدراسة ...

وعدت الى دمشق ، وفي عيني صورة حزينة لأولئك الاخوة  
اللاجئين القساعين في ( تخيم العروب ) ، وفي أذني صدى راعش  
لذلك الصوت الدافئ الثائر ، وعكفت منذ ذلك اليوم على شعر  
النكبة ، أجمعه وأضم أشتاته ، من دواوين الشعراء المعاصرين ،  
ومن المجلات الأدبية والصحف ، حتى تجمع لدي منه قدر كاف ،

يصور أبرز ملامح النكبة ، ويشفّ - كما أقدر - عن أهم خصائص  
الشعر فيها ، ولهذا أجزت لنفسي أن أنجز هذه الدراسة ، وفي يقيني  
أن هنالك شعراً نظمته النكبة ولم تصل اليه يدي ، وحسب هذه  
الدراسة إذاً أن تظل بحثاً تخطيطياً مختصراً ، يشق الطريق ، ويقيم  
الصوى ، ويبحث خطأ الباحثين على متابعة السير !

أما المنهج الذي ارتضيته لهذا البحث فقد أملت طبيعة النكبة نفسها ،  
ذلك أن النكبة الفلسطينية مرّت في دورين كبيرين ، وصدور قرار  
التقسيم هو الحدّ الفاصل بينهما ، ولهذا فإن الدراسة المقارنة لشعر كل  
دور ، وأثره في تصوير أبعاد النكبة الواقعية والوجدانية ، منهج سليم  
موات ، يُبرز لأعيننا الخط البياني لشعر النكبة وتطوّره ، ويضع  
أيدينا على أهم خصائصه ومميزاته ، ولا بد لنا قبل أن نأخذ في دراسة  
شعر كل دور من تقديم فرش تاريخي ، نير لأعيننا ظلمة النكبة ،  
ويرينا كيف وقعت الكارثة ، وكيف تطوّرت مراحلها ، وماهي  
أخطاؤنا العظمى ونقاط ضعفنا ، فتحدد هذا الجانب التاريخي الواقعي ،  
يوجّه دراستنا لشعر النكبة : ويعيننا على تقويم الاتجاهات التي سار  
فيها شعراء النكبة .

سنعرض إذاً الحقائق التاريخية لكل دور قبل دراسة شعره ،  
وسنتهي بعد ذلك إلى فصل نكتف فيه خصائص شعر النكبة في دورها .  
ورجاؤنا من بعد أن تثير هذه الدراسة لشعر النكبة عزيمة الباحثين

لدراسة الجانب الآخر من أدب النكبة ، أعني النثر بمختلف فنونه ، من مقالة وقصة ومسرحية ، فالنكبة أعنف تجربة عاشتها أمتنا العربية في تاريخها الحديث، والأدب الذي انبثق عنها هو أشدّ جوانب أدبنا المعاصر ارتباطاً بالنفس العربية وتجاوباً معها ، وفي دراسة هذا الجانب ، ورصد تياراته وخصائصه ، تقويم للاتجاه الرئيسي للفعال في الأدب العربي المعاصر كله .

صلاح الأثير

دمشق

# الفصل الأول

الدور الأول : النكبة قبل قرار التقسيم

لنكبة العرب العظمى في فلسطين جذور بعيدة، ترجع بنا إلى فجر التاريخ الحديث للأمة العربية ، منذ تمطى العملاق الغربي في نهم مسعورٍ ، وهو يرى الرجل العثماني المريض نائماً على تراثٍ مغرٍ ، من جملة رقعة من الأرض مترامية الأطراف ، عامرة بخيرات تُسيل اللعاب ! وهذه الرقعة الغارقة في الظلام والجهل والنوم هي الوطن العربي الذي أغرى نابليون ، فأقبل من الغرب يحدوه الشوق إلى الفتح ، ومد يده فأمسك بمصر ومعظم فلسطين ، وتهيأ لالتهام بقية الوطن العربي ، حين صحا « الرجل المريض » من غيبوبته ، واستطاع بتأييد من الانكليز أن يردّ النسر الفرنسي عن سماء المشرق !

ومرّ زمن .. وحفر اسماعيل القناة بسواعد المصريين ودمهم ودموعهم ، وظنوا أنها ستكون شرياناً يحمل إليهم دم الحياة ، ولكن استهتار الخديوي وحيلة الاستعمار جعلها منها ثعباناً ملتفّاً على عنق الوطن العربي : فقد باع اسماعيل القناة سلعة رخيصة بأربعة ملايين جنيه ، وهو الذي أنفق في حفلة افتتاح القناة وحدها نصف هذا المبلغ ، ودفع المليونير اليهودي روتشيلد الملايين الأربعة إلى رئيس وزراء بريطانيا اليهودي دزرائيلي ، فأصبح الانكليز يملكون القناة ، ويحفظون لروتشيلد هذه اليد (اليهودية) التي طوّق بها عنق بريطانيا ، والتي لا يريد من ورائها منّاً ولا شكوراً ، غير تأييد بريطانيا الأدبي للصهيونيين بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين .

وأقبل القرن العشرون ، والأمة العربية لا تزال في سباتها العميق ، لم يستيقظ منها غير نفر قليل ، تلقوا تعليمهم في أوروبا ، أو في الآستانة التي كانت يومذاك تصخب بالحركات القومية والاصلاحية ، وقد هالهم تأخر قومهم ونومهم ، فصرخوا فيهم ، ولكن صرخاتهم ضاعت في نفوس ميتة ، فلم يردّهم ذلك عن عزيمة النضال ، وظلّوا يعقدون المؤتمرات ويدعون إلى الاصلاح ، وهؤلاء هم الشباب القوميون العرب الذين باركوا ثورة الشريف حسين على الحكم العثماني ، وأيدوها وقدّموا الضحايا من أنفسهم في سبيلها .

لم يكن تأييد الشباب القوميين العرب للثورة العربية هو كل

ما يدعمها ، فمن وراء الشريف حسين كان نفوذ أهله وعشيرته ، ووعود بريطانيا له بدعم استقلال العرب ، وذهب (لورانس) الذي كان ينثره بدون حساب ، ليرفع به « أعمدة الحكمة السبعة » !

وانتهت الحرب الكونية الأولى ، وأخفقت ثورة الحسين ، لأن آماله الكبيرة لم تحسب لغدر بريطانيا حساباً ، ولأن إيمان الشباب القومي بثورته لم يكن يتوهج في قلوب عامة العرب ، حتى ولا في قلوب خاصتهم ، وقد رأى كثير من العرب في ثورة الحسين خيانة للمسلمين ، فهبوا يحاربونها . ويدافعون عن الخلافة العثمانية ، ويحذرون من مطامع المستعمرين المتربصين ، ولقد هاجم الشريف حسيناً شاعر كبير آنذاك ، هو شوقي ، مهاجمة عنيفة ، ورجا الأتراك ألا يبلغوا الخلافة ليتولاهم رجل عاجز أو هي المسلمين بجراحه :

من قاتل للمسلمين مقالة لم يُوحها غير النصيحة واح  
لا تبذلوا بُرد النبي لعاجز عُزل يدافع دونه بالراح  
بالأمس أو هي المسلمين جراحة واليوم مد لهم يد الجراح  
ومثل هذا القول من شوقي كان يمثل في ذلك الحين عواطف مصر  
وكثير من أهل الشام والعراق والجزيرة ، ولهذا خاب الشائرون ،  
واقسم المنتصرون في الحرب مناطق النفوذ في العالم العربي ، واحتل  
جيش الانكليز بقيادة (اللني) فلسطين ، وقدم وزير خارجيتهم  
(بلفور) سنة ١٩١٧ وعده المشئوم إلى اللورد اليهودي (روتشيلد) : « إن

حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية .

كان هذا الوعد خاتمة جهود مسعورة لم تتم لحظة منذ خلافة السلطان عبد الحميد ، فقد حاول الصهيونيون شراء السلطان بالملايين فما أفلحوا ، وعرض زعيمهم (هرتزل) عليه مليوني جنيه استرليني ليمنح اليهود امتيازاً بإنشاء مستعمرات يهودية زراعية في فلسطين ، فرفض عبد الحميد عرضه ، وكاد الصهاينة يأسون ، ولكن الحرب الكونية الأولى أنقذتهم من يأسهم ، وذلك أن كلا من الطرفين المتحاربين كان يطمع في كسب تأييد اليهودية العالمية إلى جانبه ، وكان وعد بلفور ثمن فوز الحلفاء بدعم الصهيونية لهم ، فأعانتهم بأموالها ونفوذها في الولايات المتحدة لتخوض الحرب إلى جانبهم حتى نجحت ، ومنذ صدور هذا الوعد تعالت به آمال يهود العالم الهاربين من الاضطهاد ونقمة الشعوب عليهم ، لجشعهم المادي وتعصبهم الطائفي وخياناتهم وتخريبهم ، فأصبحوا ينتظرون يوم الهجرة الى فلسطين .

استلم اليهود وعد بلفور كلمات عاطفية مشجعة تغذي آمالهم بالعودة الى بلد يزعمون أن لهم فيه حقوقاً تاريخية منذ ألفي سنة ! ولكنهم استطاعوا خلال ثلاثين سنة أن يحيلوا الكلمات حقيقة واقعة بجدّهم ودسّهم وكيدهم ؛ يقول (وايزمان) زعيمهم : « كانت مهمتي في كل مكان وزمان أن أوضح للصهيونيين أن تصريح (بلفور) ليس إلا إطاراً ،



علينا أن نملأه نحن بجهودنا، والحق أن جهودهم لم تقف، فما يكاد الجنرال (اللني) يدخل القدس حتى يستقبل في مركز قيادته بالرملة اللجنة الصهيونية القادمة لدراسة الوضع في فلسطين ، ثم تنطلق الآلة الصهيونية ، تجمع المال لتشتري الأراضي العربية من أصحابها بأي ثمن ، وتسجلها ملكاً أبدياً للأمة اليهودية جمعاء ، ثم تقسمها قطعاً وتؤجرها المهاجرين القادمين ، وتمنحهم القروض لبناء المساكن ، وتساعدهم على الاستيطان ، في ظل وارف من عطف حكومة الانتداب الانكليزية، وفي أشهر قليلة كانت الأرض الجرداء تتحول الى مستعمرات زاهية وجنات عامرة بالمواطنين المهاجرين، العاكفين على تعلم اللغة العبرية ، والخاضعين لعملية صهر قومي تجمع أشتاتهم ، وتنسق أمورهم وتوحيدها .

ونظّم اليهود أنفسهم في وكالة يهودية ترعاهم وتحمي مصالحهم : تشتري الأرض، وتبني المستعمرات ، وتفوز بامتياز البحر الميت وثرواته، وتبني لليهود ميناء خاصاً في تل أبيب، لتجارتهم واقتصادهم. لقد بدأت الخيوط الأولى للنكبة تبرز لكل عين، ولكن العرب لم يكونوا الى ذلك اليوم ليحسوا بالخطر الرهيب إحساساً كافياً ، وإذا تحرّكوا فلن يكونوا يقوموا بإضراب أو مشاغبات أو ثورات لا تلتقي عند هدف منظّم مدروس ، وكان الاختلاف بين زعمائهم يقسمهم جموعهم شيعاً وأحزاباً تناسخ وتتعادى ، واليهود يتابعون تحصين

المستعمرات ، ويستعدون للمعركة المقبلة ، ويستقبلون كل يوم أفواج المهاجرين من كل صوب ، فيزدادون بهم قوة وتنظيماً !

وجاءت الحرب العالمية الثانية لتعينهم على إنشاء المصانع الضخمة ، وتتيح لهم تدريب فتيانهم وتسليحهم ، حتى أصبح لهم في جيش الحكومة فيلق يهودي شارته نجمة داود ! وكانت دعاياتهم الهائلة تبني لهم في كل بلد رأياً عاماً يساندهم ويعطف عليهم ، لاضطهاد النازية لهم وفكها بهم ؛ وعندما أوشكت الحرب أن تنتهي ، كان الرأي العام العالمي المخدوع بهم يناصرهم ، وبخاصة في الولايات المتحدة موطن نفوذهم الأول .

وما كاد النصر يتم للحلفاء حتى أسهمت الولايات المتحدة مع بريطانيا في البحث عن حل للمشكلة الفلسطينية ، وتمت اللعبة الناجحة بوضع القضية بين يدي منظمة الأمم المتحدة ، وأعلنت بريطانيا أنها ستنتهي الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ .

كان النفوذ الصهيوني والأميركي يجند القوى في المنظمة الدولية إلى جانب اليهود ؛ وحين كشف الاتحاد السوفيتي عن نواياه أيضاً بتأييد قرار الترشيد للشعب العربي من فلسطين ، وقفت الأمة العربية على باب تجربة عنيفة حمراء ، تدعوهم إلى إثبات وجودهم وقدرتهم على الاحتفاظ بكيانهم الأرضي الموروث عن آبائهم ، وكانت الجامعة العربية بدولها السبع يومذاك تقف في الميدان ، ولما لم تستطع دولها

الأعضاء في المنظمة الدولية إثارة الضمير العالمي ، لأن ضميرها هي  
لم يتحرك للنكبة ، ولأن الدول العربية التي يجري البترول من تحتها  
حبسها البخل والخوف والخيانة عن تهديد مصالح الغرب وامتيازاته  
فيها ، فقد صدر قرار التقسيم ، ودوى الرصاص في أرض النبوات ،  
لتصبغها دماء الجريمة الكبرى .

★ ★

# الفصل الثاني

## شعر النكبة في الدور الاول

عرضنا الحقائق التاريخية المخزية التي مهدت لوقوع المأساة القومية العظمى ، وبأن بذلك أن فلسطين كانت في السنوات الثلاثين الأخيرة ، منذ وعد بلفور ، تسير نحو الهاوية المربعة سيراً حثيثاً أعمى ! غير أن صوت الشعر كان يدوي في أرجاء العالم العربي كله ، يوقظ النائمين ، ويحذر الغافلين ، وينذر بالخطر القريب الداهم ، وكانت أقوى الأصوات وأعمقها ينبعث من قلب شاعر فلسطيني كبير ، أدرك بوعيه وبصيرته أن ليل المحنة قريب ، ورأى قومه لاهين غافلين ، فصرخ في النائمين ، يهز ضمائرهم ، ويقوي عزائمهم ، ويصور لهم المستقبل الأسود الرهيب ، إلى أن تظاهر عليه اليأس والداء فصرعاه عن عمر

الزهر والرياح ، ولما يتجاوز السادسة والثلاثين ، ورحل عن دنياه  
قبل أن يشهد بعينه مصرع فلسطين !

ذلك شاعر فلسطين الكبير ابراهيم طوقان ، المولود في نابلس  
سنة ١٩٠٥ ، وقد أسهم بلده والقدس والجامعة الاميركية في بيروت  
في تكوين ثقافته ، ثم انطلق ولما يبلغ الخامسة والعشرين ليتولى  
التدريس في الثانويات فالجامعة الأميركية ، ثم أصبح مديراً للبرامج  
العربية في إذاعة فلسطين سنة ١٩٣٦ ، فلاحقته الدسائس ، واثارت  
الصهيونية على أحاديثه الاذاعية الموجهة توجيهاً عربياً قومياً سليماً ،  
فأقصى عن العمل ، ليلتحق بالعراق ، ويعود الى مهنة المعلم ، فأرهب  
بذلك نفسه ، وعاوده المرض فردّه إلى نابلس ليطوي فيها صفحة شبابه .

ونقلب اليوم ديوان ابراهيم طوقان فيطالعنا منه أنين قلب جريح ،  
يقص في تفصيل حزين حكاية النكبة في دورها الأول ، مغمسة بالألم  
واللوعة والخوف على مستقبل وطنه وأمته ، وتلتهب في جوانحها  
أنفاس من الحماسة الحزينة والرجاء الكئيب ، ترتعش كالنار أمام كل  
فدائي وشهيد ، فطوقان كان في شعره الوطني الذي يؤرخ نشأة النكبة  
صاحب رسالة . لقد أحب طوقان وطنه ومجد فيه الجمال والبهاء :

موطني الجلال والجمالُ والسناءُ والبهاءُ في رُباكُ

والحياةُ والنجاةُ والهناءُ والرجاءُ في هوائكُ

هل أراكُ

سالمًا منعماً وغانماً مكرماً  
هل أراك في علاك  
تبلغ الساك

موطني

ومن قلب الشاعر المحب لوطنه تنطلق النقمة العارمة على المحتل  
المستعمر، في سخرية مُرة بالانكليز ووعدوزيرهم (بلفور) لليهود:  
قد شهدنا لعهدكم بالعدالة وختمنا لجندكم بالبسالة  
وعرفنا بكم صديقاً وفيّاً كيف نئسنا انتداباً به واحتلاله  
وخبّلنا من (لطفكم) يوم قلتم وعد بلفور نافذ لا محاله  
كل أفضالكم على الرأس والعي ن وليست في حاجة لدلاله  
ولئن ساء حالنا فكفانا أنكم عندنا بأحسن حاله  
غير أن الطريق طالت علينا وعليكم فالتنا والإطالة  
أجلاء عن البلاد تريدون ن فنجلو أم محقنا والإزالة  
ومن (لطف) المحتل وفضله أن أصبح العربي يرسف في الجور  
والفقر والفساد ، وأصبح المهاجرون اليهود كالطوفان يهدّد  
العرب بالفناء :

منذ احتلّتم وشؤم العيش يرهننا فقراً وجوراً وإتعاساً وإفساداً  
بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم وكان وعداً تلقيناه إيعاداً  
وانصرف طوقان إلى ضمير الشعب ، ينفخ فيه روح المقاومة

والجهاد ، ويتغنى ببطولة كل فدائي يتلظى قلبه بين جنبيه بالغاية النبيلة  
الكبرى ، أما فمه فهو :

صامت لو تكلماً	لفظ النار والدماء
قل لمن عاب صمته	خلق الحزم أبكماً
وأخو الحزم لم تزل	يده تسبق الفها
لا تلوموه قد رأى	منهج الحق مظالم
وبلاداً أحبها	ركنها قد تهدما
وخصوماً يبغهم	ضجت الأرض والسما

هو بالباب واقف	والردى منه خائف
فاهدئي يا عواصف	خجلاً من شجاعته !

حتى إذا سقط الفدائي شهيداً ، كان غناء طوقان اللحن الشائر  
الذي يشيعه الى أبواب الخلود ، ويجعل اسم الشهيد أغرودة البطولة  
الهازجة في فم الزمن :

عبس الخطبُ فابتسمُ	وطغى الهولُ فاقتحمُ
رابط الجأش والنهى	ثابت القلب والقدم
نفسه طوعُ همّةٍ	وجمّت دونها الهمم
وهي من عنصر الفدا	ومن جوهر الكرم

لم يُشَيِّعْ بدمعة من حبيب ولا سكن  
ربما أُدرج الترا ب سلباً من الكفن  
لا تقل أين جسمه واسمه في فم الزمن  
أرسل النور في العيون فما تعرف الوسن

وكان طوقان يرى تدفق آلاف المهاجرين اليهود على فلسطين ،  
يتسللون إليها من البحر ، بالتهريب حيناً ، وباسم السياحة حيناً ، وعين  
السلطة الانكليزية غافلة أو متغافلة ، والعرب نائمون :

يهاجر ألفٌ ثم ألفٌ مهرباً ويدخل ألفٌ سائحاً غير آيب  
وفي البحر آلاف كأن عبابه وأما وجه مشحونة في المراكب  
بني وطني هل يقظةٌ بعد رقدة وهل من شعاع بين تلك الغياهب  
ومن أين لبني وطنه أن يستيقظوا ، وكثير منهم يخطف ذهب  
اليهود أبصارهم ، فيبيعونهم أرضهم ، وهم لا يدرون أنهم يرتكبون  
الجناية الكبرى ، وأنهم لم يبيعوا أرضاً وإنما باعوا لعدوهم المتربص  
بهم وطناً :

باعوا البلاد إلى أعدائهم طمعاً بالمال ، لكننا أوطانهم باعوا  
قد يُعذرون لو أن الجوع أرغمهم والله ماعطشوا يوماً ولا جاعوا  
يابائع الأرض لم تحفل بعاقبة ولا تعلمت أن الخصم خداعٌ  
لقد جنيت على الأحفاد والهفي وهم عبيدٌ وخدامٌ وأتباعٌ  
وغرك الذهبُ اللماع تحرزه إن السراب - كما تدريه - للماع



فكّر بموتك في أرض نشأت بها      واترك لقبرك أرضاً طولها باعُ  
 وكان طوقان يحذر المخدوعين بالثراء الموقوت من ثمن ما باعوا  
 من أراضٍ ، ويتنبأ - وياحسرة القلب لصدق ما تنبأ به - أن احتلال  
 اليهود لفلسطين آتٍ ، وأن يوم الرحيل عن الديار قريب :

هيهات ذلك إن في بيع الثرى فقد الثراء  
 فيه الرحيل عن الربو ع غداً إلى دار الفناء  
 فاليومَ أمرحُ كاسياً وغداً سأنبذُ بالعرَاءِ  
 وأكثر ما كان يروع طوقان ما يراه من خيانة زعماء البلاد لقسيتها ،  
 فقد كان هؤلاء الزعماء سماسرة البلاد ، يخدعون الشعب ويخدرونه  
 بمعسول اللفظ ، ويمزقون بأهوائهم وخلافاتهم وحدته ، ليشغلوه  
 بالتناحر فيما بينه ، وينصرفوا في غفلته إلى بيع البلاد :

أما سماسرة البلاد فعصبةٌ عارٌ على أهل البلاد بقاؤها  
 هم أهلُ نجاتها وإن أنكرتهم وهم - وأنفك راغمٌ - زعماءُها  
 وحماها ، وبهم يتم خرابها وعلى يديهم بيعها وشراؤها  
 ويحاول طوقان أن يكشف للشعب الغافل عن وجه الزعامة  
 وخيانتها القناع :

حبّذا لو يصومُ منّا زعيمٌ      مثل (غندي) عسى يُفدّ صيامهُ  
 لا يصُمُ عن طعامه ، في فلسطين      نَمُوتُ الزعيمُ لولا طعامهُ  
 ليصُمُ عن مبيعهِ الأرضَ يحفظ      بقعة تستريحُ فيها عظامه !

ويصرخ طوقان في أذن الشعب يحذره من خيانات هؤلاء الزعماء،  
فالوطن قد ابتلي بهم، وهم عصاة من الدالين، لا يخافون الله في وطنهم :  
وطني مبتلى بعصبة دلائن لا يتقون فيه الله !  
ولكن الشعب غافلٌ نائمٌ مأخوذ بحماسة زعمائه الخونة :

فإلى متى يا ابن البلا دِ وأنت تؤخذ بالحماسة  
وإلى متى زعماء قو مك يخلبونك بالكياسة  
وابكم أحطنا خائناً منهم بهالات القداسه  
وكان طوقان يهز بصرخاته أصناماً حجرية لا تتحرك ، ولا تُبالي  
بمصائرهما :

أمامك أيها العربي يومٌ تشيبُ لهوله سودُ النواصي  
وأنت كما عهدتُك لا تبالي بغير مظاهر العبث الرخاص  
مصيرك بات يلمسه الأداني وسار حديثه بين الأفاصي  
فلا رَحْبُ القصور غداً يباق لساكنها ولا ضيقُ الخصاص  
ولم يكن طوقان يُخفي تشاؤمه ، وهو يرى الشقاق يمزق  
وحدة الأمة ، فيعلن - والحسرة تدمي قلبه - بأسه من الخلاص :

والله لا يرجي الخلاص وأمركم فوضى وشملُ العاملين ممزق !  
وهكذا أدى طوقان رسالته الوطنية خير تأدية ، فدعا  
بصدق ، وحذر وأندر ، وصوّر الاحلام وبكى الآلام ، ولم  
يصانع المستعمرين ، ولم يجامل زعماء ، ولم يسكت عن خائن ، وخلف

في ديوانه قوله حق دامغة تفصل أسباب النكبة، وتحدد تبعه المسؤولين، فكان بكل ذلك شاعر النكبة الأول في هذا الدور، طغى بقوة شاعريته، وصدق وطنيته، وعمق انفعالاته الشعرية، على أكثر من عاصره من شعراء النكبة، ولعل من رحمة الله بطوقان أن يقبضه إليه، فلا يتاح له أن يشهد شيئاً من الدور الثاني من النكبة، ولوعاش لرأى قومه مشردين في كل أرض، هائمين على وجوههم في الدروب المظلمة، وقد خلفوا وطنهم المغصوب نهياً لحفنة من شذاذ الآفاق، وأسلموا أنفسهم إلى البؤس والحرمان والعراء...

يجب ألا ننسى أن الشعراء العرب من كل قطر أسهموا في غناء الدور الأول من النكبة، ولكن شعراء فلسطين هم الذين نهضوا بالخط الاوفا، فكان صوتهم ينطلق من أرض النكبة، يحكي أحداثها ويرسم أبعادها، ويستثير نخوة العرب في كل مكان لمد يد العون الى هذا الجزء المنكوب من أرض العرب.

إلى جانب هذه الصورة التي رسمها طوقان للنكبة في دورها الأول لابد من ابراز بعض الملامح المتميزة التي خطها شعراء آخرون، وسنقتصر على عدد منهم، يمثلون في غناء النكبة اتجاهات أو تيارات، ويصدرون فيها عن مذاهب وعقائد يؤمنون بها ويدعون إليها.

كان ابراهيم طوقان سليل أسرة اقطاعية كبيرة في نابلس، وعلى الرغم من نفور الشاعر من الاقطاعية، ونضاله الدائب ليكسب لقمة عيشه

بكده طوال حياته ، فإن اللون الاشتراكي لم يصبغ غناؤه القومي لأحداث النكبة ، وهنأيا تي دور شاعر فلسطيني آخر كانت مأساة بلاده تعيش في أعصابه الثائرة ، فتدفق على فمه شعراً يسدر بالألم والقوة والرغبة في الاستشهاد .

ولد الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود عام ١٩١٣ في (عنتبا) بين نابلس وطولكرم ، من أسرة فلاحين تزرع الارض وتمنحها الجهد والعرق ، ثم لاتفوز منها بغير العيش الكفاف ، ولهذا لم يستطع عبد الرحيم محمود أن يزيد على تحصيله الثانوي في طولكرم ونابلس شيئاً ، فترك الدراسة ليعمل شرطياً ثم معلماً ، وفي سنة ١٩٣٦ ألقى بنفسه في أتون المعركة ، فطارده السلطة ، فالتجأ إلى العراق فترة عاد بعدها إلى فلسطين ؛ وفي سنة ١٩٤٨ نجده متطوعاً في جيش الانقاذ ، يخوض المعارك ، ويستشهد في واحدة منها عند قرية الشجرة ، مخالفاً صبية ثلاثة وزوجاً لم تستطع أعصابها أن تحمل الفاجعة ، فجنت لمقتله ..

هذه الخطوط السريعة من حياة الشاعر الثائر تنعكس في شعر عبد الرحيم محمود ، فإذا هو بطل مغوار ، يحمل دوماً روحه على يده ويقتحم غمرات الموت غير هيأب ولا وجل :

سأحمل روحي على راحتي وألقي بها في مهاوي الردى  
فإمّا حياة تسرّ الصديق وإمّا ممات يغيظ العدى  
ونفس الشريف لها غايتان ورود المنيا ونيل المنى

لعمرك إني أرى مصرعي      ولكن أغدّ إليه الخطا  
أرى مقتلي دون حقي السليب      ودون بلادي هو المبتغى  
يلدّ لأذني سماعُ الصليل      ويهيج نفسي مسيل الدما  
وجسم تجندل في المعمعان      تناوشه جارحات الفلا

...

لعمرك هذا ممات الرجال      فمن رام موتاً شريفاً فذا  
أخوفاً ! وعندي تهون الحياة      وذلاً ! وإني لربّ الإبا  
بقاي سأرمي وجوه العداة      وقلبي حديد وناري لظى  
وعندما زار الأمير سعود فلسطين سنة ١٩٣٦ ألقى الشاعر بين  
يديه قصيدة تفيض بالألم والشكوى ، وسأله فيها :

المسجد الأقصى أجئت تزوره      أم جئت من قبل الضياع تودّعه !  
وفي شعر عبد الرحيم محمود نعمة اشتراكية مؤمنة ، وفي جوانحه  
روح فلاح ذاق من جور الإقطاع في وطنه كل مرارة ، وبلا بنفسه  
عوز الفقير وحاجته ، فأرسل من أغوار قلبه هذه الصرخة المتمردة  
الناثرة على الوضع الاجتماعي الفاسد :

بغى في قسمة الأرزاق ناسٌ      وقالوا : هكذا قسم الإله !  
وقالوا : إن أحب الله عبداً      برزقته المقدرة ابتلاه  
دعونا ، إن يكن هذا صحيحاً      ير الفقراء معبوداً خلاه  
لقد وصفوا الإله بشرّ ظلم      بما قالوا ! تنزه في علاه

وهناك شاعر فلسطيني ثالث ، أسهم في غناء النكبة بدورها ،  
وهو اليوم لاجئ في الاقليم الشمالي ، ولا يزال يوالي إنشاد أغانيه  
الحزينة الرائعة ، يث فيها شوقه للهمان إلى وطنه المغصوب .

ولد عبد الكريم الكرمي ، المعروف بأبي سامي ، في طولكرم  
عام ١٩٠٧ من أسرة شهرة بالعلم والوجاهة ، فأبوه الشيخ سعيد الكرمي  
كان من أعلام فلسطين ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد  
أتيح لأبي سامي أن يتم تحصيله الثانوي في دمشق قبل دراسته للحقوق  
في القدس ، وعمل بعد ذلك محامياً في حيفا إلى سقوطها عام ١٩٤٨ ،  
فنزح منها إلى عكا ، ثم اختار دمشق دار إقامة له ، فعاد إلى البلد الذي  
شهد من قبل ذكريات صباه ، ليعمل مدرساً في ثانوياته .

كان أبو سامي يصدر في شعره ، في الدور الأول من النكبة ، عن  
عقيدة يسارية حانقة ، تهيج في نفسه الثورة على أصحاب المال والسلطان ،  
وأشهر شعره في هذا الدور قصيدته الدالية التي يهجو فيها ملوك العرب ،  
ويندد بموقفهم المخزي الذي شل حركة الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ ،  
وهذه القصيدة نموذج لشعر أبي سامي الثائر الذي تلهب النقمة العارمة  
أنفاسه ، ويؤجج الحقد قوافيه :

انشر على لهب القصيد      شكوى العبيد إلى العبيد  
شكوى يرددها الزما      ن غداً إلى أبد الأبد

قالوا : الملوك ! وإنهم لا يملكون سوى الهبيد<sup>(١)</sup>  
دكت عروش زينو ها بالسلاسل والقيود  
سحقاً لمن لا يعرفو ن سوى التعال بالوعود  
وأذلهم وعد اليهو د ولا أذل من اليهود  
ومن حم القصيدة اللاهبة يرسل أبو سلمى لعناته إلى الملوك، واحداً  
إثر واحد ، وفي مقدمتهم ابن السعود :

إني لأرسلها مُجَافاً - جلة إلى الملك السعودي

ثم إلى صاحب عمان ، الملك عبد الله :

وأبو طلال في ربا عتاف يحلم بالحدود  
اقعد فلست أخا العلا والمجد وانعم بالقعود  
المجد أن يحمي الرصا ص على المدى حمر البنود  
واحكم على الشطرنج لد س على الفياق والجنود  
ثم إلى الإمام اليمني في عاصمته السعيدة :

عرج على اليمن السعي د وليس باليمن السعيد  
واذكر إماماً لا يزا ل يعيش في دنيا ثمود  
ثم إلى بغداد والعرش الهاشمي فيها :

واعطف على بغداد وا د ب عرش هرون الرشيد

حتى إذا جاء دور فاروق، ولحيته التي كان يرسلها يومذاك، ليضال  
بها شعبه، صرخ الشاعر به :

دع سبحة التضييل واخـ      لمع عنك كاذبة البرود  
أحسبت أن الملك بالـ      سبيح يُطلب والورود  
وكان أباسلمى يرى أن هذه اللعنات الفردية لا تشفى غيظه ،  
فيمد يده بهذه الصفة الجماعية :

إيه ملوك العرب لا      كنتم ملوكاً في الوجود  
هل تشهدون محاكم التـ      فتش في العصر الجديد  
قوموا اسمعوا من كل نا      حية يصيح دمُ الشهيد  
قوموا انظروا الأهليـ      ن الوعد ضاعوا والوعيد  
ما بين مُلقى في السجو      ن وبين منفي شريد  
أو بين أرملة تول      ول أو يتيم أو فقيد  
قوموا انظروا الوطن الذي      ح من الوريد الى الوريد  
ويلتفت أبو سلمى الى الشعب، بعد أن نفّض يديه من الطبقة  
الحاكمة في البلاد العربية، فيحاول أن يوقظه، ويطالبه جهرة بالاتجاه  
إلى اليسارية :

يا أيها الشعب النيد      ملُ أمنت من شر العثار  
أنت الذي تهدي السيد      ملُ من اليمين الى اليسار

وبعد اليسارية تكون الثورة ويتم التحرير :



يامنُ يعزوت الحمى      ثوروا على الظلم المييد  
بل حرروه من الملو      ك وحرروه من العييد

وفي هذا الدور اتجاه يميني في غناء النكبة ، كان أصحابه يؤمنون  
بأن السياسة الاستعمارية في فلسطين حرب صليبية جديدة ، ومن  
يمثلون هذا الاتجاه الشاعر الاسلامي برهان الدين العبوشي ، وكان  
لسان حال جمعية الشبان المسلمين في فلسطين، ومن جيد شعره قوله في  
قصيدة ( الوطن المبيع ) :

لهفي على الليث المهدد غابُه      ما كان أجدر لوميوتُ بغابه  
والحر يدفع عن حماه بسيفه      فإذا تحطم سيفه فبنا به  
فانمش الموت الزؤام كما مشى      جيش النبي بشيبه وشبابه

وهكذا كان شعر النكبة في دورها الأول ، على الرغم من  
اختلاف مشارب قائله، وتعدد التيارات التي يصدر عنها ، يدعو الشعب  
دعوة واحدة الى القوة والتعبئة والنضال ، لانقاذ الوطن ، والصمود  
أمام الغزو الصهيوني والاستعمار الغربي .. كل ذلك قبل أن يُقر التقسيم  
وتقع الكارثة العظمى .

★      ★

# الفصل الثالث

## الدور الثاني : النكبة بعد قرار التقسيم

عندما أوصت اللجنة الانكسار أمير كية بتقسيم فلسطين ، ضج عربها وأرغت الجامعة العربية وأزبدت ! وتبارت حكوماتها في إرسال برقيات الإنذار والتهديد ، وصدر قرار التقسيم ، والتقى مجلس الجامعة لدراسة الوضع الجديد ، وانتهى إلى أن يوصي بإرسال جيش الانقاذ إلى فلسطين من ثلاثة آلاف عربي متطوع ، بعد أن عرف أن لدى اليهود ما لا يقل عن سبعين ألفاً من المجندين المسلحين !

وتكون جيش الانقاذ المأمول ، وكان خليطاً من أقلية مخلصة مستشعدة ، وأكثريّة مرتزقة لاهية ، وقيادة هزيلة الخبرة والتنظيم والتجهيز والإيمان ! وعندما كان هذا الجيش يدخل فلسطين ، كانت الأسر

الفلسطينية الغنية تنزح الى مصر وسورية ولبنان ؛ وتوالى الضربات على جيش الإنقاذ فشلت مافيه من قوة ، والدول العربية تتظاهر أمام شعوبها بالاستعداد والاستبسال ، ولم تقم بعمل عسكري حاسم ؛ وانتهم اليهود الفرصة فشنوا عدواناً وحشياً مقصوداً على ديرياسين ، فانتهمكوا الأعراض ، وذبحوا السكّان ، ونجحوا في نشر الذعر والخوف ، وأصبح هم العربي في فلسطين أن ينجو بنفسه وأهله ، وتدفقت أمواج اللاجئين على الضفة الغربية من الأردن ، والبلاد العربية المجاورة ، وبهذا السلاح المالحق من الرعب الجماعي وانهيار الأعصاب أجلى اليهود العرب عن طبريا وحيفا ويافا وعشرات المدن والقرى ، حتى إذا أقبل الرابع عشر من أيار عام ١٩٤٨ ظهر للعالم أن المجتمع اليهودي في فلسطين أصبح دولة قائمة ، وأن المجتمع العربي فيها بدأ يلفظ أنفاسه ، ويتحول الى قطعان مذعورة من الغرباء اللاجئين الهائمين على الدروب ! أما الذين لم يبرحوا يقاومون ، فلم يكن لديهم من أمل سوى تدخل الجيوش العربية لاسترداد فلسطين !

عند ذلك أعلنت الدول العربية السبع ، وبضغط من شعوبها وحماستها ، الحرب على اسرائيل ، في الدقيقة الاولى من اليوم الخامس عشر من أيار ، ودخلت فلسطين بعض الفرق العسكرية العربية ، للقيام « بنزهة حرية » في الأرض المقدسة .

كان في رأس كل حاكم عربي هدف لاينام له الليل ، ومطامع يأمل

أن يجنيها من وراء المعركة (الراجعة ! ) التي أمر جيش بلاده بأن  
يخوضها :

أما فاروق فكان يريد أن يسترد احترام شعبه له ، بعد أن  
فقدته بمبازله وسوء أخلاقه وتصرفاته ، ويريد أن يملأ جيبه بالأرباح  
المستورة من صفقة الأسلحة الفاسدة ، ويريد أن يحتفظ بالزعامة في  
الوطن العربي .

وأما ابن السعود فكان يريد أن يُلبّي المطالبين بإلغاء  
امتيازات الزيت الاميركية في بلاده ، ليظل ثمن زيت الله ينصب  
( دولارات ) لاحصر لها في جيبه العامر ، ولن يضره بعد ذلك أن  
يرسل عدداً من البدو المسلحين للقتال مع الجيش المصري .

وأما عبد الله فكانت تلتهم في عينيه آمال نهمة ، فشوقه الى ضم  
الضفة الغربية بين ذراعيه شوق قديم ، ويؤكد العارفون أنه اجتمع  
بزعماء اليهود ، ومن بينهم غولدا مايرسون ( التي ستصبح وزيرة  
للخارجية الاسرائيلية ) واتفق معهم على قبول قرار التقسيم ، وتعمد  
لهم بأن يقف الجيشان الأردني والعراقي الزاحفان على فلسطين عند  
الحدود التي رسمها قرار التقسيم <sup>(١)</sup> !

---

(١) تفصيل هذه الحيانة في كتاب ( النكبة ) لعارف العارف ج ١ ص  
١٩٧ ، وفي مذكرات قائد القدس عبد الله التل صفحات سود أخرى تقص  
بإسهاب أخبار هذه الحيانة وغيرها ...

وأما عبد الإله ، الوصي على العرش العراقي ، فكان يريد أن يدعم  
آمال عمه عبد الله في توسيع رقعة عرشه الهاشمي ، وأن يتظاهر  
للشعب العراقي بنصرة فلسطين ، بإرسال فرق من الجيش العراقي الى  
الأرض المقدسة !.

وأما الإمام اليمني السعيد فلم يجد من شعبه حماسة واندفاعاً ،  
فاكتفى — أعزه الله — بالدعوات الصالحات بالنصر المؤزر للجيش  
الزاحفة !

وأما لبنان الجبل الأشم فلا يستطيع أن يتخلف عن تمثيل  
دوره السباعي في المسرحية الحربية ، وهو جار فلسطين المستغيثة !  
وأما سورية — أخيراً — فقد كانت محنة فلسطين محك الوعي  
القومي الناضج فيها ، وكانت القلوب المؤمنة تضطرم عزيمة وحماسة ،  
ولكن الحماسة وحدها لا تكفي ، فالجيش السوري الباسل كان صغيراً ،  
ابن سنتين أو ثلاث ، تنقصه الكثرة والمعدات والأسلحة ، وإن لم  
تنقصه الرغبة في التضحية والاستشهاد .

وهكذا زحفت الجيوش العربية على فلسطين ، ومرّ أسبوع  
وأسبوع ، والجيوش العربية تقتحم ما أقرّ التقسيم إبقاءه عربياً من  
الأرض الشبيدة ، دون معارك تذكر ، ويؤكد العارفون أنه لو لا  
هجوم سلاح الجو المصري على المراكز اليهودية ، وهجوم الجيش  
السوري الفتى على سمنخ واحتلاله مشارها ياردن ، لما كان في التمثيلية

الحرية مشهد جدي واحد يوهم الشعوب العربية أن القتال تدور  
رحاه في فلسطين !.

لقد كانت الجيوش العربية متفرقة متخاذلة ، قليلة العدد ، هزيلة  
الخبرة ، يعوزها التدريب والتنظيم ، ولم تكن هذه الجيوش معدة  
لخوض معارك حرية، بل كان أكثرها فرقاً أعدّها الملوك لاستقبالهم  
واحتفالات الأعياد ، والقيام ( بالاستعراضات ) في شوارع العواصم  
العربية ! أما السلاح فكان فضلات عتيقة فاسدة ، خير ما فيها طيارات  
لا مدافع لها ، ومدافع لا قنابل لها ، وقنابل لا تنفجر ! وعلى الجيوش  
العربية أن تقاوم بهذه الأسلحة عدواً منظماً مدرباً ، قد عبأ جميع  
قواه البشرية والمادية والعقلية والسياسية ، وفي يده أحدث الأسلحة  
وأفكرها وأمضاها !

لهذا كله كان على الدول العربية أن تقبل الهدنة الاولى لمدة شهر ،  
وقد تمكن اليهود خلاله من أن يعزّزوا قواهم ، والدول العربية تجتمع  
حكوماتها المجرمة في مشاورات مسرحية لا طائل منها ، حتى إذا  
عادت الحرب برز الخلاف بين العرب أنفسهم ، فاختلف الهاشميون  
وغير الهاشميين في قضية تأليف حكومة فلسطينية ، وانسحب الجيش  
الأردني من اللد والرملة ، وتبعه الجيش العراقي ، وخلا الميدان بذلك  
أمام القوات الاسرائيلية ، فتقدمت واحتلت عدة مدن ومئات القرى ،  
ومساحات واسعة من الأرض العربية ، وهرب السكان العرب هائمين

على وجوههم ، وقد باغتهم العدو في دورهم ، وتفرقوا مذعورين ، يطلبون النجاة بأنفسهم ، وخلفوا في أرضهم كل ما يملكون ، وأقبلوا يلتجئون الى المناطق العربية ، بثيابهم التي على أجسادهم ، وازداد عدد اللاجئين عشرات الألوف ! .

ازداد صوت الدول العربية ضعفاً بتفرق كلمة حكوماتها ، واضطرت الى قبول قرار مجلس الأمن بوقف القتال بعد عشرة أيام من استئنافه . .

وتفاقم الخلاف بين الحكومات العربية ، فقررت الجامعة العربية انشاء حكومة عموم فلسطين في غزة ، لتقف أمام أطماع الملك عبد الله ، وأجاب هذا على قرار مجلس الجامعة بضم الضفة الغربية من الأردن الى الشرقية ، وأعلن وحدة المملكة الأردنية العتيدة ! وبذلك فاز عبد الله من الغنيمة بنصيب الأسد ! .

ومضت أيام الهدنة الثانية ، والحكومات العربية سادرة في تناحرها وشقاقها ، واغتنم اليهود الفرصة ، فجعمعوا قواهم وهاجموا بها الجيش المصري ، واستولوا على النقب ، وتمكنوا من محاصرة فرقة كبيرة من الجيش المصري في الفالوجة .

وفي خندق من خنادق الفالوجة المحاصرة كان ضابط مصري شجاع يربض مع حفنة مؤمنة من جنوده : في عينيه العميقتين ومضات العزم ، وفي قلبه الكبير تتوهج الشعلة المقدسة ، ذلك لأنه أدرك بعمق

ذاته ، ووعى بدقة طبيعة النكبة منذ أبعاد أدوارها ؛ ومن قلب هذا الضابط المصري المحاصر في الفالوجة ستنطلق الشرارة المنقذة ، فتطيح بالعروش وتحطم أذنانها ، وتثور لكرامة الأمة العربية المهذورة ، ولجيوشها التي غرر بها لإرضاء النزوات والأطماع .

يقول الرئيس جمال عبد الناصر في رسالته « فلسفة الثورة » وهو يتحدث عن بذور الثورة في نفسه ، محدداً دور النكبة والحصار في الفالوجة في تفجير براكين الثورة في قلبه : « لم ألتق في فلسطين بالأصدقاء الذين شاركوني في العمل من أجل مصر ، وإنما التقيت أيضاً بالأفكار التي أثارت أمامي السيل .. وأنا أذكر أيام كنت أجلس في الخنادق وأسرح بذهني إلى مشاكلنا : كانت الفالوجة محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضرباً بالمدافع والطيران تركيزاً هائلاً مروّعاً ، وكثيراً ماقلت لنفسي : هانحن أولاء هنا في هذه الجحور محاصرون ، لقد غرر بنا ، دُفعنا إلى معركة لم نُعد لها ؛ لقد لعبت بأقدارنا مطامع ومؤامرات وشهوات ، وتُركنا هنا تحت النيران بغير سلاح ! وحين كنت أصل إلى هذا الحد من تفكيري ، كنت أجد خواطري تقفز فجأة عبر ميادين القتال ، وعبر الحدود إلى مصر ، وأقول لنفسي : هذا هو وطننا هناك ، إنه « فالوجة » أخرى على نطاق كبير ! ... »

وهنا كان موقف الحكومات العربية حرجاً أمام شعوبها ، فراحت



تخدع الجماهير لتخفي عنها الحقيقة السوداء ، وترهبها الهزيمة نصرأوالعار  
مجدأ والذل فخراً ! ثم بدأت هذه الحكومات ، صاغرة ذليلة ، تعقد  
الهدنة مع اسرائيل ، حكومة بعد أخرى ، وتخدّر شعوبها بالتهديد  
بالجولة الثانية ، وراحت كل دولة تنصل من جريمتها ، وتحمل  
الأخرى مسؤولية النكبة والانكسار والهزيمة ، وتأمل أن ينسى  
التاريخ والضمير العربي جناية الحكام ودورهم القذر في كارثة العرب  
القومية العظمى .



# الفصل الرابع

## شعر النكبة في الدور الثاني

لئن كانت نكبة فلسطين أعنف تجربة قاستها الأمة العربية في العصر الحديث ، فإنها أيضاً أعظم تجربة يعاينها الأدب العربي المعاصر ، ذلك أن النكبة قدمت لكل كاتب وشاعر ، من مآسيها وويلاتها وأهوالها ، مادة للقول لا تنتهي ، وكيف تنتهي ومليون من المتشردين اللاجئين لا يزالون الى اليوم هائمين على وجوههم ، غرباء بانسين ، تروى وجوههم الشاحبة ونظراتهم اليايسة ، قصة النكبة وأحداثها ، وتشكو أجسامهم المعلولة برد الكهوف والخيام البالية ! بل كيف تنتهي والقزم اليهودي لا يخفي مطامعه النابجة لتحقيق خريطة التوراة : « وهبتك يا إسرائيل ما بين دجلة والنيل ! » ..

لقد كان حظ الشعر في غناء النكبة في دورها الثاني ضخماً حقاً ،

فما من شاعر في العالم العربي كله لم تدفعه ربة شعره الى بكاء الكارثة العربية في فلسطين ، فدلل الشعر بذلك على أن النكبة الفلسطينية ليست اقليمية محدودة ضيقة ، بل هي كارثة قومية هزت الضمير العربي في كل مكان من أرض العرب ، وهاجت وجدانه الشاعر ، فانطلق الغناء من كل فم ، ولهذا لم يكن باستطاعتنا أن نعرض لكل شاعر أسهم في القول في النكبة ، وحسب دراستنا أن نظل بحثاً تخطيطياً يعرض الخطوط الكبرى في النكبة ، ويرسم بإيجاز أصداءها في الشعر العربي المعاصر .

يبدأ العرض الشعري المتسلسل لمشاهد النكبة في دورها الثاني منذ اليوم الخامس عشر من أيار سنة ١٩٤٨ ، ولهذا اليوم البغيض ذكريات سود عند شعراء النكبة ، وهذه صرخة واحد منهم ، هو الشاعر عيسى الناعوري ، يرسلها لاعتنا ذلك اليوم الأسود ، معدداً ضحاياها ، مندداً بأهواله :

يا لعنة الزمن البغي	ض وأسوأ الأيام ذكرى
هذي ضحاياك الكثا	رُتُمْتُهُنَّهَا الأيامُ قهرا
تقضى الحياة على الطوى	وتلوك مسغبةً وصبرا
يا صورة الجبن الأذ	ل وأبغض الأيام طراً
لا كنت من يوم به	صار انتخاء العرب غدرا

وكرامة الشعب العريد      ق هدرتها، ومضيت، هدرًا  
ومنذ ذلك اليوم الأسود البغيض بدأت «المهزلة العربية» كما سميها  
بحق الشاعر الفلسطيني محمود الحوت، فقد أطبقت الدول السبع على  
فلسطين، لتطرد منها العصابات الصهيونية، وتلقي بها في البحر، ولكنها  
طردت عرب فلسطين وشردهم من ديارهم لتقدمها سكنًا للمعتدين  
الآثمين. يقول محمود الحوت :

أُطبق «السبع» إطباقًا لئلا تخرجها      وتُسكن المعتدي أزهى مغانيها  
فهل سمعتم بحربٍ كالتى نكبوا      بها فلسطين واجتاحوا أهاليها  
وشتوهم ضحايا هائمين على      وجوههم بعد تركين العدى فيها  
وعاد كلُّ إلى الأوطان ترهقه      رسالة كان في (الأقصى) يؤديها  
لقد عادت الجيوش العربية من فلسطين، بعد نجاح «المسرحية  
الحرية» كما يصورها الشاعر خليل زقطان :

وهنا انظري تلك الجيوش      ش السبع والعُدد القوية  
أمت ميادين النضال      لوصول كاذبة الحمية  
وتراجعت من بعدما ضمنت نجاح المسرحية  
وكان لتراجع تلك الجيوش السبعة أمام عصابات اليهود صدى  
ساخر، وظهرت صحف أوربا يومذاك، وفي بعضها لمزات ووخزات  
لجيوش «الأصفار السبعة» كما سميتها، وفي ذلك يقول زقطان نفسه  
ويحق له أن يسخر ويتهم :

جيوش السبعة الأصفار كلُّ تراجع حاملاً غار القيود  
يزفُّ الحاكِية نجاح كيدِ رماكٍ بكلِّ قتالٍ مبيد  
وبترجع الجيوش العربية أخذت أمواج اللاجئين تندفق على  
البلاد العربية المجاورة ، وكانت الشعوب لاتزال حتى ذلك اليوم  
مخدوعة بمهازل حكمها ، فظنت أن هؤلاء اللاجئين هاربون من  
المعركة والتضحية والاستشهاد ، وأساء بعضها استقبالهم ، واتهمهم  
بعضٌ بالخيانة والجبن ، فرد الشعراء الفلسطينيون هذه التهمة ، وهذا  
أحدهم ، الشاعر محمد العدناني ، يلجأ الى الزرقاء في شرقي الأردن ، فيجد  
من أهلها من يتهمه بالهرب ويعيره بالخوف ، فيرد عليه معاتباً ، مبيّناً  
لكل مخدوع أن عرب فلسطين وقفوا وحدثهم ثلاثين عاماً يصدون  
عدوين غادرين هما الصهيونية والاستعمار ، وكانوا خلال ذلك للأمة  
العربية درعاً واقية ، حتى عجزوا فاستغاثوا ، فأغاثتهم الخيانة :

ألوماً على ما نابنا من مصائب      ولم نجترح إثماً ولم نقترف ذنباً  
وكنا لكم درعاً تقيكم عصاة      تزفُّ الأسى والشر والهلوالجدبا  
وُذذناهم عنكم ثلاثين حجة      بعزم محاشمٍ المعافل والهضبا  
ونحن صمدنا للعدوين وحدنا      صموداً أثار الكون قاطبةً عجباً  
هممتُ بلوم العرب لوماً مدوياً      على ما بدا منهم فردتني القُربى  
ولكن الشاعر عيسى الناعوري كان تألمه من التهمة أعمق من أن

تردّه القُرْبى ، فقفذ بالاتهام في وجه أصحابه ، وراح يفضح زمر  
الحياة والغدر :

كذبوا فكم جاهدت قبل وحيدة	خصمين جبارين ، دون وئاء
حقب طوال لم تن لك عزمة	فيها ولم ترضي بالاستخذاء
شهدت لك الأيام واعترف العدى	ببطولة جبارة شماء
إن كان ذاك خيانةً يا حبذا	لو عشت خائنة بلا نصراء
هم أسلموك إلى العدو فرغوا	بالعار كل كرامة وإباء
بل مرغوا تاريخ يعرب كلّه	بمذلة لا تنتهي نكراء
زمر تعيش على الحياة مثلاً	عاش البعوض على خيث الماء

وفي طليعة زمر الحياة تجيء زمرة الملوك والحكام والرؤساء ،  
وقل أن نجد بين شعراء النكبة من لم يرجهم بحجر ، ولكن أباسلمى  
يفوق في هذا المجال سائر شعراء النكبة ويسبقهم :

يارفاق الدهر هل شردكم	في الورى غدر عدو أم محب
زعماء دنسوا تاريخكم	وملوك شردوكم دون ذنب
وجيوش غفر الله لها	سامت أوطانكم من غير حرب
دول تحسبها شرقية	وإذا أمعنت فالحاكم غربي

ولقد رأينا منذ الدور الاول للنكبة نقمة أبي سلمى على الملوك  
وخياناتهم ، ومن الطبيعي أن تزداد نقمته في هذا الدور عليهم حدة

وعنفاً ، بعد أن بدت لكل ذي عين خيانة الملوك وأصحاب العروش  
عارية سافرة ، فإذا هم أذئاب حقيرة للمستعمر ، يتنافسون في  
مرضاته ، ويتيهون بالخيانة :

أذنابى المستعمرين ملوك ؟ أملاكهم وهم مطايا الأعداء  
يتبارون بالخيانة تيهاً ياليتهم الجنة بالأصفاد !  
وليس بينهم ملك صاحب عزة وكرامة ورجولة ، بل كلهم  
أذلاء ، باعوا فلسطين دون أن ترتعش ضمائرهم لهول جريمتهم :

قال الملوك غداً نحمل دياركم ليت الأذلاء ماقالوا وما فعلوا  
وعلمونا بساح المجد ننزلها إذا هم ساعة الجلى هم العلل  
قالوا الكرامة ، قلنا أين صاحبها ؟ قالوا : الرجولة ، قلنا : أيهم رجل  
باعوا فلسطين فلتنهض ضمائرهم أما تراها على (الدولار) تشتعل  
لقد ذل ملوك العرب حتى ليأنف العار ، ذات العار ، من أن  
ينتسب إليهم :

أملاكهم ! وهم إذا نسب العا رُ إليهم أبى انتساباً معيباً  
وهكذا وفى أبو سلمى خيانات الملوك حقها من التشهير ، ولكنه  
كان يختص الملك عبد الله من بين الملوك بالضربة الحاققة :

خيانات الملوك وذلّ عرش أقيم على الخيانة والخراب  
سعدنا في البلاد وحين سادوا غدت مرعى الثعالب والذئاب

ولقد شن شعراء النكبة حملات عنيفة أيضاً على الجامعة العربية ودولها ، فكشفوا القناع عن وجه الجامعة ، وأظهروها عارية أمام الشعوب العربية المخدوعة بمهازلها ، فإذا هي ربيبة الاستعمار ، ولدت في حجر الانكليز ، ورضعت من أثداء المستعمر ، فلما نمت واستوت غدت مطيةً ذلولاً له ، ودمية طيعة بين يديه ، يحر كها كما يشاء .  
يقول أبو سامي :

لنا دول ليتها لم تكن مطايا وأذنان مستعمرين  
وجامعة لم تزل دمية يخف إليها الرجيم اللعين

وهاجم شعراء النكبة كلهم بضراوة الاستعمار والمستعمرين ، لأن الاستعمار من أهم عوامل النكبة ، فبين الاستعمار واسرائيل رابطة لا تنفصم ، فالاستعمار يسخر اسرائيل ، فيجعل منها قاعدة لكل عدوان منه على العالم العربي ، ويتخذ منها حلياً لضرب كل حركة قومية واستقلالية في بلاد العرب ، والصهيونية العالمية تسخر الاستعمار بدورها لحماية اسرائيل ، فتحطم اسرائيل إذا لا يتم إلا بالقضاء على الاستعمار الذي يستغلها ويحميها ، ولهذا يشور شعر النكبة على الاستعمار وأذنانها ، ويحمل الدول المستعمرة مسئولية النكبة .

يقول الشاعر هارون هاشم رشيد :

لولا خداع الانكليز وغدرهم ما عاث في أرض الأسود كلاب



والغرب ! يا للغرب إن قدومه نحو البلاد مصيبة وخراب  
هو 'أخطبوط فاجر مستعمر في كل ناحية له أذئاب  
ويقول الشاعر خليل زقطان :

هي خطة وحشية لا ترفق الغرب واضعها وقومك طبّقوا  
سنظل أشباه العبيد يضلنا هذا « الحليف » بفنه ويفرق

وشعر النكبة يُدَمِّي القلب ويبيكي العين حقاً عندما يقف أمام خيام  
اللاجئين ، ليقص قصة العربي التائه ! لقد انتهى دور اليهودي التائه  
منذ أصبح له في اسرائيل وطن قومي يحميه ، ويدتُّ يظله ويؤويه ،  
وأرض تطعمه من خيراتها وتغنيه ، وهام العربي على وجهه ، بلا وطن  
ولا بيت ولا أرض ، يلوب في الدروب ، حافياً عارياً جائعاً ، ذليل  
الصوت كسير النفس والقلب ، ينتظر من الشعوب فضلات الإحسان  
ليسد بها رمقه ، وهو الذي خآف في وطنه السليب مئات الملايين من  
الجنهيات !.. حتى إذا أقبل الليل ، أوى الى تلك الخيمة السوداء التي  
أصبحت رمزاً كريهاً للنكبة .. وهذه الخيمة صدقة غير كريمة من  
الدول اللئيمة التي أسهمت في النكبة وتشريد اللاجئين ، وهي ترجو  
من وراء هذه الصدقة أن تخدّر الشعور العربي وتبلمده ، وأن تنسي  
المصابين هول الكارثة ، والعار كل العار أن تقبل الأمة العربية هذه  
الصدقة ، وما يتبعها من منْ وكالة الإغاثة ، وبلاد العرب تسبح فوق

بحر زآخر من الزيت ، وهذا الزيت مال الله ، يملكه الشعب العربي ،  
وليس لفردٍ - من كان - أن يحتجنه أو يدعي ملكه ! فلنشتري بعضه  
بؤس اللاجئين ، ولنسمح به دموع المنكوبين ! . « إن زيت الحجاز  
والعراق والكويت - كما يقول الأستاذ نقولا الحداد - ليس لأهل الحجاز  
ولا لأهل العراق ولا لأهل الكويت ، إنما هو ملك الله ، لأنهم لم  
يزرعوه حتى يستغلوه ، ولا صنعوه حتى يتاجروا به ، فيجب أن  
يدفعوا ضريبة ثقيلة عليه الله ! » .

ولكن كيف نأمل أن تُدفع مثل هذه الضريبة ، والجيوب الشحيحة  
التي تكنز (دولارات) الزيت ، لا يرى أصحابها بؤس اللاجئين ،  
ولا يدر كون هول النكبة ، وهم لو كانوا أدر كوا فأحسوا فانتخوا  
من الدنية لبذلوا وضحوا ، يوم كان قرار التقسيم يُلغيه عود ثقاب !  
عود كبريت صغير يحرق آبار الزيت ، وينسف منشآته ، ويدك  
مصالح المستعمرين ، ويعلمهم يحثون على الركب ، ويطلقون التفكير  
قبل أن يزرعوا الدمّل الاسرائيلي في قلب العرب .. لقد كان عود  
الكبريت الذي كنا نملكه آنذاك يغنينا عن السلاح والعتاد الذي لم  
نكن آنذاك نملكه ، ولكن المتسلطين على الزيت آثروا أن  
يعلنوا بلسان ابن السعود عام ١٩٤٧ : « أن فلسطين عزيزة عليه ، وأنها  
بؤبؤ عينيه ، وأنه لا يرضى لها إلا ما يرضاه لنفسه » ، فلما جدّ الجد  
وصاحت فلسطين المستغيثة « وامعتصماه ! » أصمّ أصحاب النخوة

الكاذبة آذانهم، وضمو جيوبهم على ملايين ( الدولارات ) من دخل  
الزيت، ووقفوا يحرسون مرافقه من نقمة الشعب، ليوفّوا بالتزاماتهم!!  
وأعلنوا في مجلس الجامعة العربية سنة ١٩٤٨ بلسان الشيخ يوسف ياسين  
« أن اليهود أغنياء وأقوياء وأذكىاء ، وإن العرب — خست كلمة  
تخرج من أفواههم ! — لا طاقة لهم بحرب اليهود ، لأنهم فقراء  
 وضعفاء !... » و... وكان عليه أن يقول : وأغنياء ! ولهذا كله كان  
لابد للنكبة من أن تدمر فلسطين ، وأن تنطلق لعنة الأجيال من فم  
شاعرنا الكبير عمر أبي ريشة ، تصفع قادة العرب وتحاذلهم :

ودعي القادة في أهوائها      تتفانى في خسيس المغنم  
رب ( وامعتصماه ) انطلقت      ملء أفواه الصبايا اليتم  
لامست أسماعهم لكنّها      لم تلامس نخوة المعتصم  
ولهذا كان لابد لأهل فلسطين من أن يهيموا على وجوههم  
مشتردين، بين نازح وطريد ، كما يقول الشاعر محي الدين الحاج عيسى:  
وطنٌ تمزّق قاطنوه وُشردوا      فبكل أرضٍ نازحٌ وطريدٌ  
نزحوا وخلّوا جازعين ديارهم      ولهم هنالك مُطرف وتليد  
قد حازها أعداؤهم وتجرّدوا      منها كما يتجرّد العنقود  
وضلّ العربي الشريد في الآفاق ، كما يصوره الشاعر محمود الحوت:  
وراح يضرب في الأرض العراءُ ضحى

ويقطع اليمّ مخموراً المنى وجفا

فلا يرى في اتساع الكون من عبر

إلا الضنى واختناق الروح والتلفا

أما إذا اربدّ وجهُ الليل يُفزعهُ

وجدته بالغيوم السود ملتحفاً

والجوع ينهش من أكباده قطعاً

وينثني من دماء القلب مرتشفاً

تقاذفته بلاد الله يذرعها

مشرّداً ضلّ ، لا نهجاً ولا هدفاً

وأصبح الفلسطيني المشرّد يُسأل في كل مكان : « من أين أنت ؟ »

وهذا الشاعر بشير قبّطي يُسأل فيجيب :

من أين أنت ؟ وزمجرت كلماته في مسمعيّاً .

. . .

أنا من ربا يافا ، من الشط المرصّع بالآلي

. . .

أنا من تلال الرملة البيضاء ذهبها الأصيلُ

من سفح غزة ، من ربوع اللدّ ، تحضنها السهول

من روض حيفا ، روض كرمها ، تلذّ به الشمول

من دوح يافا ، من عروس الشرق ، أسكرها الهديلُ

أنا من ضلوع القدس ، شرّحها بمبضعه الدخيلُ

أنا من معين الثأر ، من ثغر الأعاصير الغضاب  
أنا من فلسطين التي انتفضت على قصف الحراب  
قد ضلّ الدخلاء شعباً جاهلاً غرض الإهاب  
فيها فبات عرينها ملهى فسيحاً للذئاب  
وعلى أيادي الساسة ( النجباء ) قد فرضوا اغترابي  
ويجب شاعر مشرد آخر ، هو هارون هاشم رشيد :  
أنا لاجيء ، وطني استييح وداسه غدر العدى  
أنا نازح ، داري هناك وكرمتي والممتدى  
وطني هناك ولن أظلّ بغيره متشرّداً  
لي موعد في موطني ، هيهات أنسى الموعدا  
ويجب شاعر مشرد ثالث هو يوسف الخطيب :

أنا لاجيء يا مصر أضرب في الحياة بلا دليل  
أنا لاجيء يا مصر أمسح في الثرى جرحي الكليل  
داري هنالك خلف أسوار الهزيمة والعويل  
داري هنالك في الهوان تئن من قدم الدخيل

وعند خيام اللاجئين تلاقى شعراء النكبة، ومن الشقاء الرابض  
في الخيام السود استعاروا مادتهم الشعرية، واستوحوا أسماء دواوينهم  
فسمى أبو سلمى ديوانه الأول « مشرد » وأهداه « إلى أخيه الفلسطيني

المشرّد تحت كل كوكب » ، ومن وحي جوع سكان الخيام استعار  
خليل زقطان اسم ديوانه « صوت الجياع » وأهداه إلى المشردين في  
أنحاء الأرض ، ومن أجل اللاجئين أرسل هارون هاشم رشيد ألحان  
ديوانه الباكية « مع الغرباء » وأهداه إليهم :

إليهم ، إلى إخواني اللاجئين إلى إخواني يوم يدعو الدم  
إليهم وإن سكنوا في الكهوف وفوق روابي الأسى خيموا  
إليهم سأشدو بشعر الحياة ومنهم بروحي سأستلمهم  
وقد وفي هذا الشاعر بما وعد ، فأصدر ديوانه الثاني من وحي  
هؤلاء الغرباء وعزيمتهم وسماه « عودة الغرباء » ، كما سمي يوسف الخطيب  
ديوانه الثاني « عائدون » ، وباسم واحد من هؤلاء الغرباء ، أنشد  
محمود الحوت « أناشيد عربي من فلسطين ضل في الآفاق » وأسمّاها  
« المهزلة العربية » ، ومنذ تمثيل هذه المهزلة إلى اليوم يندر أن تخلو مجلة  
عربية دورية من ترديد صرخة شعرية تشكو إلى كل ضمير يؤس  
اللاجئين ، وهي تنبعث من كل قطر من أقطار العرب ، كما يندر أن  
نجد شاعراً عربياً لم يخفق قلبه لآلام اللاجئين وعريهم وجوعهم ، فهذا  
كاظم جواد يرسل من العراق هذا التساؤل الحزين :

أحشرجات الثأر ما أحس في الخيام . . .

أم رجّع موسيقى الجراح يوقظ النيام . .

في ظلمة الملاجىء الدكناء والخيام

وهذا صوت عبد الوهاب البياقي ينطلق من « الملجأ العشرين »  
ليقص في ألم حزين قصة القلوب الملتاعة التي تنتظر أنباء البريد ، مترقبة  
طوال الليل ، وقد أنهكها الفراغ واستبدت بها الوحشة :

كفراغ أيام الجنود العائدين من القتال

وكوحشة المصدور في ليل السعال

كانت أغانينا ، وكنا هائمين بلا ظلال

مترقبين ، الليل ، أنباء البريد :

« الملجأ العشرون :

ما زلنا بخير ، والعيال

— والقملُ والموتى — يخصون الأقارب بالسلام

والذكرياتُ الفجّةُ الشوهاء تعبر ، والخيامُ

والريحُ والغدُ والظلامُ

كوجوهنا غبَّ الرحيل :

« أماء ما زلنا بخير » والذئابُ

تعوي وتعوي عبر صحراء السهاد :

يا إخوتي من أين نبدأ ؟ من هنا ! « ليلُ السعالُ

وبريدنا الباكي المعاد :

« لا شيء يُذكر ، لم تزل ( يافا ) وما زال الرفاقُ

تحت الجسور ، وفوق أعمدة الضياء

ولم يزلُ دمنّا المراقُ  
على حوائطها القديمة ، واللصوص  
وحقولنا الجرداء يغزوها الجرادُ « ....

. . . .

( يافا ) نعودُ غداً إليك مع الحصادُ  
ومع السنونو والربيع  
ومع الرفاق العائدين من المنافي والسجون  
ومع الضحى والقبرات  
والأمهات !  
« الملجأ العشرون :

مازلنا بخيرٍ ، والعيالُ  
والإخوة المتشردون  
من قبونا النائي يخصوصون الأقارب بالسلامُ  
ومن الإقليم الشمالي ، تتحدث إحدى الخيام الباكية بلسان الدكتور  
بديع حقي ، فإذا « الخيمة الباكية » قلب راعش ، رغب الجراح ،  
تلطمه العواصف ، وتسفعه الرياح الغاضبة ، فتثير آلامه وتهيج أحزانه ،  
فيعكف على جراحه ، ويعاود الأنين والبكاء :  
« وأبكي أنا ...

ويخفق قلبي لطيفِ دنا ،



إليّ هفا ... وانحنى  
ليمسح جرحي بنور كئيب .  
وتهدر ، في الليل ، ريح غضوب ،  
وأبكي أنا  
لوجه حزين إليّ رنا ،  
ويمتدّ خيط يابره  
ويرفو جراحي بأنفاس جمره  
ولكن ، تجاذب جلدي ، وتسفع خدي ،  
عواصف تلعب في المنحنى ،  
فيرفض جرح ، بصدري ، رغب ،  
ندي ، طري ، خضيب ،  
وأنجب ، وحدي ،  
وأنذب "حلو المنى ...  
وأبكي أنا ..

وأمام خيمة باكية أخرى من خيام اللاجئين في الأردن ، يقف  
الشاعر كالناصر ليلتقط لها هذه الصورة الحية : خيمة مذعورة مصلوبة  
حيرى ، يعوي فيها الفراغ ، ويحف بها الذل والهمل والعذاب :  
مذعورة ، على رحاب المكان مصلوبة ، منسية في الزمان  
حيرى على أوهامها في المدى لاحب في سمائها ، لاحنان

مشدودة في الأرض معصوبة كأنما شددت بأيدي الهوان  
النارُ في أرجائها أُنحمت وفي زواياها تلاشى الدخان  
يعوي بها فراغها طاوياً في مقتلته الكبر والعنفوان  
والهم من يأسٍ بها مطرق يحصي عليها في العذاب الثوان  
وإذا أقبل الليل ، فغطى بجاكّة ظلامه خيام اللاجئين ، وضمت  
كل لاجئة فراخها تريد النوم ، صرخ محي الدين فارس من  
الإقليم الجنوبي :

« لا .. لا تنامي .. »

الليلُ أوغل لا تنامي ..

خلف الخيام قطعُ دُؤبانٍ ظوامي ..

الريحُ أطفأت السراج ، وقهقهت خلف الخيام

وفراخك الزُغب الصغار تراعشت مثل الحمام

وتكومت فوق الحصير .. تكومت مثل الحُطام

ناموا على جوع فما عرفوا هنا طيف ابتسام ... »

وعلى الضفة الغربية من الأردن ، تتناثر خيام اللاجئين ، وأمام

واحدة منها تقبع لاجئة حزينة ، مثل تمثال شقي ، لا تشارك الناس

مباهج العيد فتناجىها الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان :

وأراك ما بين الخيام قبعتمثالاً شقياً

متهاكاً يطوي وراء هموده المأعتيا

أُتري ذكرتِ مباحج الأعياد في (يافا) الجميله  
 أهفت بقلبك ذكرياتُ العيد أيام الطفوله  
 إذ أنتِ كالحسون تنطلقين في زهوٍ غريرِ  
 والعقدة الحمراءُ قد رفّت على الرأسِ النضيرِ  
 والشعر منسدل على الكتفين محلول الجديله !

وكيف تضحك اللاجئة للعيد ، وتشارك في مباحجه وأفراحه ،  
 والعيد قد ضيع — كما يقول عيسى الناعوري — منذ النكبة معناه :  
 عيدُ فلسطينا إحدى هداياه أضحى ! ولكننا كبرى ضحاياها  
 لابهجة تتجلى في مظاهره أو فرحة تتبدى في ثناياها  
 وكيف يفرح شعب بات موطنه نهياً لدى عصبته من شر أعداءه  
 شعب تشرد ، لا قطر يهش له ولا أخ يُرتجى في دفع بلواه  
 قدمات من كانت الأعياد تبهجهم وضع العيد من عامين معناه  
 ولهذا يُقبل العيد على شعر النكبة لينكأ فيه الجراح واللوعة ،  
 ويزيد في إضرار أحزان المشردين وآلامهم ، فيذكرون به ذلهم وبؤسهم  
 وعُريهم ، كما يقول خليل زقطان :

عيدٌ ولكن يا أخيه عيدٌ مواكبه شقيه  
 أبصرتُ فيه الكبرى ء تلوح كاسفة حيه  
 وعلى محياها جرا ح الذل تجهر بالرزيه

أنى اتجهت فصورة الـ آلام واضحة جليه  
والشعب يرزح في ظلا لـ البؤس في الحلل الزريه  
خدعوه إذ قالوا العرو به لاتنام عن القضيه  
وتسابقوا فعلام ؟.. يا تاريخُ قل عني البقيه

وليس عجيباً أن يعكس شعر النكبة إثر الكارثة حزن المشردين  
وحيرتهم وقلقهم النفسي وحقدهم ونقمتهم اللاهبة ، وأن تتفجر الثورة  
كالنار من تلك « العيون الظماء للنور » بعد أن ضاع فردوسها وضاع  
جسيمها ، وأصبحت لاتعرف إيمانها من كفرها ؛ وفي شعر يوسف  
الخطيب ملامح واضحة لصورة فئة من جيل النكبة ، فئة مثقفة شاعرة  
لم تحتمل أعصابها عنف الكارثة وأهوالها ، فقدت إيمانها بكل شيء ،  
واستبدت بقلبها قلق جاحد كافر . يقول يوسف الخطيب يصف اضطراب  
إيمانه أمام هول المأساة وحيرته وضياعه :

كم تنزت بين الضلوع كلومهُ والقذى كأسه .. فأين نديمهُ  
ضاع فردوسه وضاع جسيمهُ

ليس يدري فناءه من وجوده ليس يدري انتهاءه من خلوده  
ليس يدري إيمانه من جحوده

هكذا يا إله يشقى عبيدك أين وعد الأبرار ، أين وعيدك  
أين عدل الحياة .. فيم وجودك !

أأصلي ؟ لمن تكون صلاتي لاجيء ، ليس لي هشيم حياة  
ليس لي حفرة تضم رفاقي

وعندما يشوب يوسف الخطيب إلى نفسه يتبرأ من كفره وتفيض  
من قلبه الجريح الحائر ثورة روح سجيئة : تنشد الفكك من قيود المذلة ،  
والتححرر والانطلاق من العبودية :

لست بالكافر الذي يتجبر أنا روح يريد أن يتحرر  
أنا بالقيد والمذلة أكفر !

لقد فتح الشاعر عينيه بعد الكارثة ، فوجد نفسه « في سوق  
العبيد » وسيط الخناس تكوي ضلوعه ، فكيف ينقذ « أنه »  
ويسترد حريته :

يا أنا ، ياسلعة هينة للمشتريين  
يا أنا ، يا قدحاً في سهرات المترفين  
يا أنا ، يا شمعة تحرق ليل الكادحين  
في ضلوعي أي إصبار من الحق الدفين

تلك آفاقي : دماء وحراب وسجون

وجباه في الدجى تنزف خمر الحاكين

في ضلوعه حقد دفين ، يغلي ويفور ، ويدفعه إلى الثورة ،  
ويمنحه قوة الجبار ، فيظن أنه قادر على أن يقرر مصيره بنفسه ، وأن  
ينتقم لعاره ، ويثأر لكرامته ، فيرسل من أعماق قلبه هذه الصرخة  
الرائعة التي تتجاوز حدود شاعريته ، ويثب بها الشاعر وثبة يتفوق  
بها على نفسه :

أنا مشعل ، أنا مارج جبارُ	لا الريحُ تخمدني ولا الإعصارُ
سأمدُ في الآفاق ألسنة اللظى	حمرأ لها في الخافقين أوارُ
ولأحرقنَّ الليلَ حتى تنجلي	أسدأفه فتوقدي يانار
للميتين دموعهم وجراحهم	ولجذوتي ساحُ الوغى والثارُ
ولسوف أغسل جبهي حتى ترى	مثل الضحى ، ويزوب عنها العارُ
أنا للحياة ولن أظلَّ مشرداً	أقسمت لا أرضى ولا أختارُ
ومشيئتي قدر على أقدامه	تتمسح الأيامُ والأقدارُ
لوشئتُ جمعت النجوم مشاعلاً	ودفقتُ منها الموت حين أثارُ
وذروت في القطبين أرياح الردى	فالأرضُ من بعدي لظى ودمارُ
أنا مجرم ، أنا حاقد ، أنا سيء	حتى تُعاد الى ذويها الدار

ويوسف الخطيب أشعر من غنى النكبة بعقيدة قومية عربية

اشترائية، وهو الشاعر اللاجيء الذي نراه في ديوانه (العيون الظلماء للنور) و(عائدون) يعيش تجربة النكبة بدمه وأعصابه ..

ولد يوسف الخطيب في قرية من قرى مدينة الخليل عام ١٩٣١ من أسرة فقيرة ، وقد بذل له أبوه كل ما يستطيع حتى أتم تحصيله الثانوي في مدارس الخليل، وفي عام ١٩٥٠ أم يوسف الخطيب دمشق للدراسة في جامعتها ، حيث قضى سنوات أربعاً من حياته يدرس الحقوق ، ويعمل في الوقت نفسه في الإذاعة والصحافة ، ليكسب ما يعينه على العيش والدراسة ، حتى إذا فاز بإجازة الحقوق رجع الى الأردن ليعمل محامياً ومذيعاً ، فلما حصلت نكسة عام ١٩٥٧ هرب الشاعر ، والتجأ الى الاقليم الشمالي ، فاحتضنته دار الإذاعة في دمشق ، وأصبح صوته الأجرس يهدير كل يوم من المذيع ، يذكر اللاجئين الفلسطينيين في كل مكان من العالم العربي أنهم لا بد (عائدون) ، وينفخ في جيل النكبة روح العزيمة والنضال والصبر ، ليعرفوا أنهم على موعد مع القدر ، ويتربوا أذان الفجر ليلبوا صيحة الزحف المقدس .

إن يوسف الخطيب شاعر قومي ، يؤج كل حرف من شعره بإيمانه الملتهب بعرويته ، ولهفته الظامئة الى الثار :

أما ترانا في الدجى نعتلي وموعده الثأر يناديننا  
نسعى الى الفجر ومانأتلي نمزق الليل بأيدينا  
إن كنت لاتعرف من أمي فاسأل عن العرب المياديننا

نكاد من سورة آلامنا تتخذ الحقد لنا ديناً !  
لقد آمن المشردون جميعاً بالحقد ، فصغارهم يرضعونه مع الحليب ،  
وهذه « رقية » صورة حياة من صور النكبة ، ترسمها الشاعرة فدوى  
طوقان ، لأم فقيرة لاجئة ، تعصف في صدورها الأضغان ، ووليدها  
يتلمل في حجرها :

تلمل في حضنها فرخها فضمته محبومةً ثائرة  
ومالت عليه وفي صدرها مشاعر وحشية هادرة  
لترضعه من لظى حقدِها ونار ضغائنها الفائرة  
وتسكب من سم خلجاتها بأعماقه دفقةً زاهرة  
وليس عجباً أن يعمر الحقد صدور المنكوبين إثر وقوع الكارثة ،  
وأن يملأ جانباً ضخماً من جوانب شعر النكبة ، ولقد تسرب الحقد  
الى صدر كل عربي ، ولو لم يكن فلسطينياً مشرداً ، ذلك أن (أخوة  
العار) شملت كل عربي ، وتركت له في فلسطين جرحاً رغبياً ينتظر  
الثأر ، ولهذا ينطلق صوت محمد بدر الدين من القاهرة :

أنا يا أخي في العار لن أنسى هناك  
فأخي الشهيد على الثرى ملقى هناك  
والثأر يوماً سوف يجمعنا هناك  
أنا من هنا ... لكن جرحي من هناك

...



ستثير أحقادى مرارة ذلتى  
وتعيد فى ذهنى خيال النكبة  
هى نكبتى ، فالقدس كانت قبلتى  
إن لم أكن منها ففيها أمتى  
واللاجئون من الضحايا إخوتى  
يوماً سأكتب فى ثراها قصتى  
بدى ، وأنسف قيدها بعزيمتى  
فإذا صرعت ، أخى فوسدنى هناك  
أنا من هنا ... لكن روحى من هناك !..

غير أن مرور الزمن على جراح الكارثة خفف من ثورة القلق  
والحيرة عند شعراء النكبة ، فخفت صوت الحقد والضعينة فى  
نفوسهم ، وجدت عوامل كثيرة أعانت على كبس جماح اليأس  
فى قلوب المنكوبين ، كانهجار الانقلابات الشعبية فى كل طرف  
من أطراف العالم العربى ، ونجاح الثورة المصرية وتصفية الفساد فى  
كبرى الدول العربية ، وتولى القيادات المؤمنة المخلصة أزمة الأمور  
فى كثير من أقطار العرب ، وقيام الوحدة بين القطرين المصرى  
والسورى ، وازدياد الوعي القومى والثورى فى أوساط الشعوب

العربية ، وبتقلص ظلال اليأس أشرق التفاؤل في شعر النكبة ،  
وأشعت من جديد حرارة الإيمان بالشعوب العربية ويقظتها وبعثها  
وحدثها ، كما يقول يوسف الخطيب :

غرة البعث أشرقت تسحب النو      ر على البيد والقرى والحواضر  
فاعصري يا أكف منها نبيذاً      واستحمي في ضوئها يانواظر  
نحن في موئل العروبة شعب      جمعتنا رغم الحدود الأواصر  
ومع يقظة الشعب العربي يتفجر جدول الضياء ، وتعلن الأمة  
العربية إيمانها بنفسها ، وعزيمتها على التحرر ، كما يقول الخطيب نفسه :

هكذا جدول الضياء تفجر

هكذا راحت الملايين تزخر

وحداً كالرعد : الشعب أكبر

إن شعباً يريد أن يتحرر

ويعلو عند ذلك صوت أبي سلمى يحث الشعب على الثورة وتحطيم  
جبروت الطغاة :

ثورة الشعب طمّري كل أرض      واحطمي كل من طغى وتجبر  
فيعيش الإنسان حراً طليقاً      وينير الطريق شعب تحرر  
وتستبد الثقة بالشعب وقوته ببعض شعراء النكبة فيزأر في وجه  
الطغاة ثائراً مهدداً مغالياً ، كما يفعل خليل زقطان :

فليقرأوا فوق الجبا      ه الغر فلسفة العصاه

صوراً من الإصرار تُعْلمُن أنما الشعب الإله

ومما يزيد موجة التفاؤل إشراقاً في شعر النكبة ، اندفاع تلك  
الثورة العارمة من الحنين إلى أرض الوطن المغصوب ، فبعد أن ذاق  
اللاجئون التائهون مرارة التشرد والغربة فاض بهم الشوق إلى الوطن  
والديار ، وهذا محيي الدين عيسى يناجي ربوع جبل الجرمق بعد خمس  
سنوات من التيه والتغرب :

حيَّتْكِ عني يا رباع الجرمق أزكى النسائم من مشارف جناق  
خمس من السنوات مرت لم تذق عيني الكرى إلا لطيف مؤرق  
طيفٌ يجدد كل يوم لوعة ويشير فرط صباقي وتشوقي  
وهذا أبو سامي يحن إلى داره في فلسطين ، وإلى دنيا من الذكريات  
الحلوة التي خلفها فيها :

داري التي أغفت على ربوة حاملة بالمجد والغار  
تفتّح الزهر على خدها فغطّرت أيام آذار  
والتينة الخضراء في ظلها تاريخ أشواق وآثاري  
والعين خلف الدار في المنحنى تروي حكاياتي وأخباري  
وهذا عبد الرحمن الكيالي يحن إلى يافا وأمسياتها الحلوة :  
ويافا الجميلة بنت المفاة ن كيف عن الأهل سلوانها  
أصبو إلى البحر عند الغروب وتشدو على الماء خلجانها

ويعلو الضجيج بها في الصباح ويلهو مع الليل نشوانها  
والحنين الصادق اللوعة حقاً يفور في قلب شاعر النكبة يوسف  
الخطيب ، فقد كان ذات أصيل على شاطئء بردي حين رأى عندليباً  
مقبلاً من الجنوب ، مهاجراً مثله من فلسطين ، فيسأله ويناجيه  
بأرق التجوى :

وأكاد ألمح في وجومك لون مأساتي  
جرحي وملحمتي وتشريدي ، وآهاتي ..

بيَ لهفةٌ يا صاحبي مشبوبةُ النارِ  
هل بعضُ أخبارٍ تحدثها ، وأسرارِ  
للظالمين على متاه الوحشة العاري  
كيف الحقول تركتها في عُرس آذارِ  
ومنى لويتَ جناحكَ الزاهي عن الدارِ  
.. عجباً ، تُراك أتيتنا من غير تذكّار !

لو قشّةٌ ممّا يرف بيدري البلدِ  
خبأتها بين الجناحِ وخفقة الكبدِ  
لو رملتان من المثلث أو ربا صفرِ  
لو عشبةٌ بيدٍ ، ومزقة سوسنٍ بيدٍ !

أين الهدايا مذ برحت مرابع الرغد  
أم جئت مثلي بالحنين وسورة الكمد

عهدي بدار طفولتي سحرية الصور  
مغسولة الربوات في شلالة القمر  
أواه كم أمسية عريّة السمر  
كانت لنا في كل راية ومنحدر  
كم سرحة عند الأصيل ويقظة السحر  
بسلالتنا ، ملء الربا ومسارب الشجر

...

ماذا رحيلك أيها المتشرد الباكي  
عن أرض غابات الخيال وفوحها الزاكي!  
أم أن مرج الزهر أصبح قفر أشواك  
وتلوّنت أنهارها بنجيع سفاك  
... داري ، وفي عينيّ والشفقتين نجواك  
لا كنت نسل عروبتى إن كنت أنساك

ومن مظاهر التفاؤل في شعر النكبة أن تلهب في جوانبه الدعوة  
إلى الثأر ، وأن تغلي فيه عزيمة التصميم على العودة إلى الوطن ، وبعد

أن كنا نسمع من شعراء النكبة أنين اليأس من استعادة الأرض  
 المغصوبة ، وثورتهم على تحاذل الشعب العربي وضعفه وانهاره وهزال  
 وعيه ، أصبحنا نسمع منهم صرخات القوة والإيمان بوعي الشعب  
 ونضاله ، ويمكننا أن نضرب الأمثلة الكثيرة على هذا التطور في شعر  
 النكبة ، فهذا الشاعر عيسى الناعوري كان في ساعات يأسه ينكر  
 وعي الشعب العربي ويتهمة بالخنوع والاستسلام لكل طاغية :  
 الوعي وعي الشعب كذبٌ فما في شعبنا وعيٌ وأحرارُ  
 نمجد الطاغى ونعنو إذا ما ساقنا للذلّ سمسارُ  
 ثم أصبح الشاعر نفسه يطلق صرخة الإيمان بالشعب لخوض  
 معركة الثأر :

يا فلسطين إن للثأر يوماً سترى الأرضُ هوله والسماءُ  
 فبنوك الذين قد شردتهم نُوبُ الظلم ما اعتراهم وناء  
 سوف يبق الحقد المقدس فيهم يتلظى ولن تقر الدماء  
 وهذا الشاعر اللاجئ خليل زقطان كان اليأس يدفع به إلى مثل  
 هذا القول :

يا صاح لا تحلم بأنك عائدٌ للربع فالأحلام قد لا تصدق  
 سنظل ندعى لاجئين كما ترى ويظل يخذعنا الذي يتشدّق  
 ثم غاب اليأس ، وأطل الأمل والإيمان بوعي الشعب في شعره ،  
 كالذي نجده في قوله :

يا أهسنا المخضوب بالدم ، بالفواجع ، بالدموع  
اغرب ، فقجر الوعي عائق نوره أمل الجموع  
فمشت تُزيل معالم الفوضى وأسباب الخضوع  
وهذا الشاعر كال ناصر ، نجد في ديوانه (جراح تغني) نقمة عارمة  
على الشعب وجبته ، إذ لا يجد فيه البطل الفارس الفدائي :

لا بطل يمشي الى حتفه مؤزراً ، مغامراً ، مؤمناً  
لا فارس تُضرمه غاية ويدعيه في الجهاد السنا  
ولا فدائي جريء الخطا يستعذب الميتة بين القنا  
صرختُ في يأسِي وفي حرقتي ما أحقر الشعب وما أجبنا !

فإذا انحسرت موجة اليأس والحرقه ، وأشرق التفاؤل ، دوت  
صرخة الشاعر نفسه ، تعلن في زهو لاحد له ، إيمانه بالشعب  
وقوته وكبريائه :

أنا الشعب فلتسمعي يا ذرا نشيدي ، يدوي بسمع الفضاء  
أمدُ جناحي عبْرَ الجراح فن كبرياء إلى كبرياء  
أنا الشعب يا حفنة المُرَجفين نداء الخلود وسرّ البقاء  
على مقلتي مصير الوجود وفي وجنتي مصير القضاء !

أما الشاعر الذي هزم اليأس فلم يجد إلى قلبه سيلاً ، فهو شاعر  
العودة غير مدافع بين شعراء النكبة جميعاً ، أعني هارون هاشم

رشيد ، ذلك أننا نجد في دواوينه الأربعة ( مع الغرباء - عودة  
 الغرباء - غزوة في خط النار - أرض الثورات ) تلك الروح المتوهجة المؤمنة  
 التي لا يعترها يأس ، ولا يتزعزع إيمانها بكسب الجولة الثانية :  
 من الكهف والخيمة البالية سأجمع للشار أشلائيه  
 سأجمع أهلي وأصحابيه وأصرخ من عمق أعماقيه  
 وأرسلها صيحة داوية وأدعو إلى الجولة الثانية  
 وعلى الرغم من أن الشاعر عاش مع اللاجئين الغرباء تجارب كاملة  
 في ديوانه الأول ، فرأى بؤسهم وعريهم وجوعهم ، فإن روح التفاؤل  
 والنضال لم تمت في شعره :

هذي الخيامُ ألا ترى ضاقت بمن فيها الخيامُ  
 لا .. لا يُروّعك السقا م فلن يحطمها السقام  
 كلا ولا هذا الشقا ء إذا تفشى والحمامُ  
 لا لن يضير عقيدةً من أجلها صلوا وصاموا

وكان الشاعر ينفخ من روحه القوية في قلوب المنكوبين التائهين  
 ليواصلوا السير والكفاح :

يا أخي الضارب في التيه وما كآت خطاك  
 أنت تمشي باندفاعٍ والدني تمشي وراك  
 فإذا اليأس تراءى حطمته قبضتاك  
 وإذا الدمعُ تنزَّى جففته مقلتك



يا أخى ، إن تهتَ فى الدرب ، فلا تلق عصاك  
سروكافح جاهداً ما استطعتَ تبلغ مبتغاك  
فشاعر العودة مؤمن بالعودة ، على الرغم من كل شئ :  
سنعود يا أختاه للوطن رغم الشقاء وقسوة الزمن  
رغم الليالى العابثات بنا والجوع والتشريد والمحن  
وهو يرى يوم العودة قريباً ، يعلن أن الزحف المقدس على  
فلسطين لاستردادها موعده غد :

قسماً بهم .. قسماً بمن قد شردوا  
تحت الخيام الباليات وأبعدوا  
قسماً بأقداس لهم 'تهدد'  
عيسى بنى أمجادها ومحمد  
سنكون بركاناً يمور ويزبد  
سنكون حرباً لا تكل لها يد  
وسنجمع الشمل الكبير ونحشد  
وإذا دعا الداعي وحان الموعد  
ألفيتنا من كل صوب نرقد  
كالسيل نهدر بالجهاد ونزعد  
الزحف ٠٠ إن الزحف موعده غد

ففى غد ينتشى الكون بوثة الجيش العربى على فلسطين الشهيدة ،

يقوده بطلُ كصلاح الدين ، فيستخلص الديار المقدسة ، ويثأر  
للضحايا والشهداء :

يا فلسطين أراها وثبةً في غد ترعد بالكون انتشاءً  
وصلاح الدين في فيلقه يرجم البغي انتفاضاً وارتواءً  
وأرى حطين من فرحتها زحفت تلقاه حُباً ووفاءً  
وأرى من حولها أمتنا بذلت في ساحة الثأر الدماء  
وسرايانا التقت في موعدٍ مسح الدهر بها ماقد أساء  
ولواء النصر معقودٌ لها والمرءات تحيي الشهداء  
أما دعاة السلام الذين يتبجحون بالمثل الانسانية ، ويدعون الى  
قتل روح الكفاح في الشعب ، ويتناسون دماء فلسطين الذبيحة ،  
فإن شاعر العودة هارون هاشم رشيد نفسه يدعونا أن نقول لهم :

قولوا لأشباه الرجال ولا رجال  
الهاربين من الجهاد ، الخائفين من القتال  
قولوا لهم : وضع النهارُ وأشرق شمس النضال

....

قولوا لهم : أين السلامُ الحقُ أشياعَ السلامِ  
والداعرون يمزقون قداسة الأرض الحرامِ  
يتمتعون بخيرها .. ونموتُ في ليل الخيامِ

.....

الجلولة الكبرى غداً ٠٠ لا بد منها والكفاح  
سنسير للنصر القريب ، ولن يؤخرنا النباح

ومن أبرز مظاهر التفاؤل في شعر النكبة عودة الثقة بالنفس  
العربية ، وتحديها من جديد للدولة المسيخة ، فقد استطاعت مصر  
الثورة أن تبني للعروبة جيشاً قوياً يقف في وجه مطامع اسرائيل ،  
وأصبحت الدولة اليهودية إذا رفعت صوتها تهتد العرب وتتوعدهم ،  
تلقت من الرئيس جمال عبد الناصر مثل هذا التحدي الساخر : «فلتهجم  
اسرائيل في الربيع ، ولتهجم اسرائيل في الصيف ، ولتهجم اسرائيل  
في الخريف ، ولتهجم اسرائيل في الشتاء إن كانت تحب الشتاء!»  
ويتلقف شعر النكبة هذا التحدي فيصوغه شعراً ، ويوجهه إنذاراً  
صاعقاً الى اليهود المعتدين ، بلسان الشاعر سمير صبر :

الموتُ عبر خطوطنا فلينحفوا  
وليهمجوا ، وليعتدوا ، وليعرفوا  
أن الدماء ، دماءنا ، خلف الحدود  
تغلي وتصنع من جديد  
تاريخ شعب يهتف :  
فلينحفوا  
وليعرفوا

أنا سنُرجع بالإرادة ، بالحديد  
أرضَ الجدود .

• • •

وليصرخوا ، وليكذبوا ، وليهرفوا  
وليعتقدوا ، وليقتلوا ، وليختفوا  
وليأثموا  
وليعلموا

أنا الجدار المستعد الصامد  
أنا الصراعُ المستنير الخالدُ  
إيماننا الخط المنيع الراصد  
أرواحنا الفجر القريب الصاعد  
فليفتقدوا أعصابهم ٠٠ فليفتقدوا  
وليطلقوا نيرانهم ، وليعتقدوا  
فالموعدُ

في صدرنا لهبٌ يشور ويُزبد  
في أرضنا ظمأٌ يشن ويحقد  
ولنا الغدُ

والجولة الأخرى وركبُ الصامدين  
وديب أقدام المشاة الظافرين

وهتاف آلاف الضحايا النازحين

القدس ، حيفا ، دربنا ، فليعرفوا

الموت عبر خطوطنا فليزحفوا ..

وزحف اليهود بحماية الاستعمار على مصر ، بعد ثماني سنوات من  
التقسيم ، ووقفت غزة في خط النار صامدة كما صمدت بورسعيد ، وعندما  
دخلها اليهود رأوا فيها شعباً جديداً ، يختلف كل الاختلاف عن الشعب  
الذي عرفوه قبل سنوات ... فقد قابلهم في غزة جيل عربي جديد ،  
يعمر قلبه الإيمان والشوق الى الشهادة ، لا يهرب القنابل ، ولا يُخلي  
دوره وربوعه للغزاة ؛ وكذلك بقي الشاعر هارون هاشم رشيد في  
بلده غزة خلال الاحتلال ، طوال شهرين ، فلما اضطره العسف  
الصهيوني الى مغادرة غزة ، لم يطق قلبه وداع بلده الحبيب :

أوداعاً ؟ فيمَ يا غزّة بالله الوداعُ

وأنا منك تراب وشعور والتّماعُ

أنا إن ودّعت مغناك تلقّاني الضياع

وتلقّني ذئاب جائعات وضباع

أوداعاً .. لا وحق الثّار ، لا كان الوداع

وعندما انسحب المعتدون يجرّون أذيال الخيبة ، عاد الشاعر

إلى غزة ليشيّعهم متحدياً :

مازالت لهيباً مشتعلاً يدعو للحرب وللشار  
ولقد كان الاعتداء الثلاثي أبلغ درس في معركة النكبة، لإسرائيل  
والعرب معاً : فأما إسرائيل فقد أيقنت بعد الاعتداء أن الأمة العربية  
قد ولدت من جديد ، وفي يد كل فرد منها سلاحه ، يتحدّى كل  
مغتصب معتد ، بلسان الشاعر صلاح الدين عبد الصبور :  
سأقتلك

من قبل أن تقتلني سأقتلك  
من قبل أن تغوص في دمي  
أغوص في دمك  
وليس بيننا سوى السلاح  
وليحكم السلاح بيننا !

وأما العرب فقد لفهم النصر الى قيمة اتحادهم، فصاغ جمال عبدالناصر  
وشكري القوتلي معاً أروع قصائد النكبة بميلاد الجمهورية العربية  
المتحدة ، وهي أول قصيدة في نشيد الوحدة العربية الكبرى .

لقد كانت نكبة العرب في فلسطين هزّة عنيفة عصفت بكيانهم  
من جذوره ، وأيقظتهم من نومهم بأهوالها ومآسيها ، ولم تمض عشر  
سنوات على تقسيم فلسطين حتى أصبحت الوحدة العربية حقيقة واقعة  
بعد أن كانت حلاماً بعيداً ، وبدأت طلائعها بقيام الجمهورية العربية المتحدة  
وأيقن العرب أن النكبة ستكون الحافز العميق ليقظتهم وبعثهم .

أما شعراء النكبة فلم يغفلوا عن رصد أثرهما في توحيد الأمة العربية ، فهذا أبو سالمى يناجي فلسطين بقصيدة يسميها « بعد عشر سنين » يحدد فيها دور النكبة في الوحدة ، ويقرر أن الوحدة العربية الكبرى لا تتم إلا بتحرير فلسطين من مغتصبيها :

يا فلسطين مضت عشر وفي كل يوم يسمع الدهر ندانا  
وأتينا والظى يحرقنا عرباً : قلباً ووجهاً ولسانا  
يا أحبائي مضت عشر ولم تلثم الأترب المفدى شفتانا  
وشظايانا اللواتي وحدث بين أهلينا ولم يبق سوانا  
لن تتم الوحدة الكبرى إذا لم يلح في الوحدة الكبرى حمانا  
والى اليوم ، وبعد مضي اثنتى عشرة سنة على اغتصاب الأرض المقدسة ، لا يزال شعر النكبة يوالى إنشاد أغانيه ، ينفخ بها في جيل النكبة روح النضال والكفاح والثأر ، في انتظار يوم المعركة الحاسمة ، ويعلن للعالم أن العرب لا ينسون دماء فلسطين مهما يطل ليل المحنة ، وأن النكبة لا تزيدهم إلا قوة وعزيمة وإصراراً ، كما يقول أبو سالمى :  
كيف ننسى وعلى كل ثرى دمنا يسري سعيراً والتهابا  
نحن في النكبة أصفى جوهرأ كلما اشتد لهيب النار طابا



# الفصل الخامس

## خصائص شعر النكبة

قدّمنا في الفصول السابقة خلاصة الحقائق التاريخية للنكبة الفلسطينية في دوريتها ، منذ أن أعلن وعد بلفور سنة ١٩١٧ ، الى عامنا الحاضر ١٩٦٠ ، بعد مضي اثنتي عشرة سنة على تقسيم فلسطين ؛ وعرضنا مشاهد مختارة متسلسلة من الشعر العربي المعاصر الذي يحكي أحداث النكبة ويعكس أصداءها ، ولقد حاولنا في هذا العرض الشعري ألا نطيل الطريق ، وأن نضمن — ما استطعنا — للمشاهد ترابطاً ينجيها من التفكك ، وحرارة متابعة تعين على ملاحظة مراحل شعر النكبة ورصد تطوره ، ولهذا كان علينا أن نوجز ، وأن نكتفي عند كل مشهد بإيراد حفنة مختارة من الشعر ، راجين أن يغني القليل عن الكثير ،



وأن ينوب عنه في تمثيل الأحداث وتصويرها ، وأن يشف عن أهم الخصائص الفنية التي يمتاز بها شعر النكبة .

ولقد آثرنا أيضاً أن نجمع الدراسة الأدبية لشعر النكبة في فصل خاص بها ، على أن ننثرها تتقاً في تضاعيف المشاهد الشعرية المعروضة قبلاً ؛ ولنا من وراء ذلك غاية فنية وهي حماية العرض الشعري من تراخي الحركة وضعفها وتفككها ، وغاية تعليمية وهي إبراز خصائص شعر النكبة وتحديدتها وتكثيفها وإعانة الدارسين على تلمسها وحصرها .

## — ١ —

هزت النكبة ضمائر الشعراء العرب في كل قطر ، فقالوا الشعر في غنائها ، فدلل شعر النكبة بذلك على أن محنة فلسطين ليست كارثة محلية ضيقة ، بل هي نكبة قومية جامعة ، أيقظت بأهوالها ومآسيها أمة العرب ، في كل قطر من أقطارهم ، وأظهرتهم على أن اغتصاب هذا الجزء المقدس من كيانهـم الأرضي الموروث مقدمةٌ تكشف عن أطماع للصهيونية والاستعمار في وطنهم لانهاية لها ، فضلاً عن كرامتهم التي ديسـت ، والدماء العربية التي هدرت ، ولهذا ارتعش وجدان كل عربي مؤمن بعروبهـ ، وتفجر الشعر الحزين من قلب كل شاعر

عربي ، يبكي ضياع فلسطين ونكبة الأمة العربية فيها ، ومن النادر أن يخلو ديوان شاعر عربي معاصر من صفحات تعكس أصداء النكبة وتروي شيئاً من أحداثها ، غير أن الشعراء من أبناء فلسطين هم الذين غنوا أصدق ألحان النكبة وأعماقها وجداناً وعاطفة ، لأنهم صدروا فيها عن واقع وطنهم ، وحكوا عن التجارب التي عاشوها بأنفسهم ، والمآسي التي رأوها بأعينهم ، وماراء كمن سمع ، ولا منكوب كمؤاس ، ولقد برز منهم ابراهيم طوقان في الدور الأول ، ويوسف الخطيب وأبو سلمى وهارون هاشم رشيد في الدور الثاني ، فكانوا في الطليعة : فأما ابراهيم طوقان فقد كان يغني النكبة بألحان كثيفة متشائمة ، ترضع من نفس حزينة ، وجسم مريض معلول ؛ وأما يوسف الخطيب فإن ألحانه عصارة قلب متمرد ، عاش تجربة النكبة بكل دفقة من دمائه ، وكل رجفة من أعصابه ؛ وأما أبو سلمى فإن أغانيه الرائعة تعاصر النكبة في دورها ، وتفيض مرارة وحقداً على ( مجرمي النكبة ) من الملوك والقادة ، وتقطر حنيناً وشوقاً الى الوطن المغصوب ؛ وأما هارون هاشم رشيد فإنه شاعر الأمل والعودة ، وفي شعره زاد وجداني حماسي يلهب جيل النكبة ، ويمنحه القوة والعزيمة والتفاؤل والاستعداد للجولة الثانية ؛ وفي شعر كل واحد من هؤلاء نفس سام ، وعاطفة صادقة متوهجة ، وطبع مصقول ، وموسيقى عذبة متموجة ، ونزوع واع الى التجديد .

نرى في شعر النكبة صورة واضحة المعالم لمختلف التيارات الاجتماعية التي تعصف بالأمة العربية وهي تنهّس طريقها نحو اليقظة والنور والحرية ، من اليسارية فالاشتراكية إلى القومية فاليمينية : ففي الدور الأول من النكبة يطالعنا تمثيل كامل لهذه الاتجاهات كلها في شعر أبي سالمى وعبد الرحيم محمود و ابراهيم طوقان وبرهان الدين العبوشي ، أما في الدور الثاني من النكبة فقد ازداد بعض هذه الاتجاهات تبلوراً وإشعاعاً بسبب من ازدهار الدعوات التي تمثلها في العالم العربي ، كالتيار القومي الاشتراكي ، وخفت صوت بعضها ، كالتيار اليميني ، ومرد ذلك إلى أن العرب رأوا - في دفاعهم عن كيانهم الأرضي الموروث وعن عروبة قطعة منه - أن يقودوا المعركة في فلسطين على أساس قومي ، لا على أساس ديني ، وكان موقف بعض الدول الاسلامية من المعركة غير محمود ، فقد ضلّت شعوبها المسالمة فلم تع وعباً كافياً بأن معركة العروبة في فلسطين هي - إلى ذلك - معركة المسجد الأقصى والصخرة المقدسة !

ولهذا بقي العرب وحدهم في الميدان ، يخوضون معركتهم القومية الكبرى ، وتقاص ظل الاتجاه الاسلامي وانزوى على استحياء إذ

لم يجد في الدور الثاني ما يعينه على موالاة الحانة<sup>(١)</sup> ..

غير أن أصفى ألحان النكبة - في رأيي - وأكثرها انسجاماً مع طبيعة الكارثة ، وأغناها فائدة ومردوداً ، ما كان منها صادراً عن إيمان قومي واعٍ ، مدرك لقيمة الطاقة الإسلامية ودورها في دعم النضال العربي الموحد ، متفتح للإنسانية كلها ، متجاوب معها في سبيل إثارة الضمير العالمي ... ومثل هذه الألحان الصافية قليل في شعر النكبة ، نجد أصداء مبعثرة لها في شعر هارون هاشم رشيد ؛ وليس من ريب في أن مثل هذه الألحان تلتقي على غنائها القلوب المؤمنة كلها ، فتثير في النفس العربية تطلعاً متفائلاً إلى المستقبل في قوة وعزيمة وإصرار ، وينطلق العمل للتأثر في اتجاه موحد هادف مؤمن ببناء .

### — ٣ —

وفي شعر النكبة نجد أيضاً صورة للمخاض النفسي العنيف الذي عاناه العرب في مختلف أطوار النكبة .  
في الدور الأول من النكبة كان شعراؤه - على الرغم من تعدد

---

(١) - من الانصاف أن نذكر هنا تلك السرية من المتطوعين اليوغوسلافيين المسلمين الذين أسهموا في معارك يافا ( النكبة - لعارف العارف : ج ١ ص ٢٤٤ ، ٢٤٧ ) وإن لم يكن لها أثر كبير في طوفان النكبة العارم .

اتجاهاتهم واختلافها - يتلاقون جميعاً عند الدعوة إلى تنبيه الغافلين :  
وضمّ الجهود المبعثرة ، وسلوك سبل القوة والثورة ، والكفر  
بالزعامات الزائفة المستغلة ، وتمجيد الفدائيين والشهداء ؛ ثم جاء  
الدور الثاني فكان شعر النكبة في أوله يموج بالقلق والحيرة والشك ،  
وهو بذلك كله صورة صادقة للنفس العربية الجريحة الكبرياء في أعقاب  
المعركة ، عندما صدمتها الهزيمة فأذهلتها وغمرتها في ظلمة قائمة من الغضب  
والياس والانهيار ، ثم فجّرت منها براكين الحقد على كل من له يد في  
الجريمة العظمى ، من الحكام والملوك والساسة العرب إلى إسرائيل  
والصهيونية والاستعمار وأذنا به ..

ثم استيقظت النفس العربية وقد صهرت الهزيمة معالمها بكتابة  
طاغية قائمة ، يزيد بؤس اللاجئين المشردين في قُتمتها !

ثم أشرق على شعر النكبة في دوره الثاني طور جديد ، تنسم  
الشعراء فيه روح التطلع والأمل والتفاؤل ، فأظهروا على أن الشعوب  
العربية لم تُهزم ، بل هُزمت حكوماتها الخائنة المتآمرة ؛ وازدادت  
إشراقة الأمل إثر الانفجارات الشعبية في كل عاصمة من عواصم العالم  
العربي ، وفي كل طرف من أطرافه ، وبذلك عادت للنفس العربية ثقها  
بذاتها ، وبدأت سلسلة من الانتصارات العربية تتوالى ، بفضل قيادات  
شعبية واعية ، صنعتها النكبة ونفخت فيها روح العزيمة والجهاد ، فإذا  
النفس العربية تولد من جديد ، مدركة ذاتها ، تتحدى كل معتد أو

مغتصب ، وباتت - بعد أن نزعَت من صدرها أغلال القلق والحيرة  
والشك - تنتظر في شوق وثبات وإيمان موعد الزحف المقدس ،  
لتحقيق الوحدة الكبرى و كسب الجولة الثانية .

## — ٤ —

استطاع شعر النكبة - وهو يستوحي مآسيها وأهوالها - أن يُغني  
العنصر العاطفي والحماسي فيه ، ووفق في تمثيل الجانب الحزين والمتمرد ،  
فأبكى العيون بما صور من بؤس اللاجئين وشقائهم وجوعهم وعُريهم  
وهم يقاسون الأهوال السود في الكهوف والخيام ، وهزّ القلوب بما  
نقل من مشاهد حماسة المشرّدين للتعبئة وحنينهم إلى العودة وشوقهم  
إلى الثأر ؛ إلا أن شعر النكبة لم يكدّ يعنى بغير هذا العنصر الانفعالي  
الوجداني ، فظل العنصر الفكري فيه فقيراً ، ذلك أننا لا نجد في  
شعر النكبة ما يُعين على تزويد الضمير العربي بالسند الجدلي لحق  
الأمة العربية في فلسطين وبطلان مزاعم الصهيونية وادعاءاتها ؛ ثم إن  
شعراء النكبة لم يستطيعوا أن يعكسوا المعنى الايجابي للمأساة القومية  
الكبرى ، المعنى البناء الذي يحدّد الهدف ويرسم الطريق ، فهم جميعاً  
دعوا في شعرهم إلى الجولة الثانية ، دون وعي أو دراسة ، فإسرائيل  
ليست غزوة حرية ابتلى بها العالم العربي ، كالفزوات الصليبية الماضية ،

بل هي غزوة حضارية مركزة ، تتسلح بالعلم والغنى والقوة ، فهي خطر داهم دائم ، مادمننا جاهلين فقراء ضعفاء ، ولو أننا استطعنا أن نكسب الحرب وأن نقضي على الدولة المسيخة ، وبقينا من بعد دويلات مفككة منحلة متعادية متناذرة ، وشعوباً ممزقة جاهلة متأخرة ، لتفرق اليهود في البلاد العربية ، غائمين آمنين ، واستعمروها كلها بتفوقهم الحضاري والاقتصادي ! يجب أن يدرك شعراء النكبة أن الجولة الثانية وهم لا فائدة منه ، إذا لم تسبقها إقامة الدولة العربية المتحدة التي تجمع العرب ، وتقضي على عوامل التجزئة والتفرقة والتفكك والتخاذل ، وتتسلح بالعلم والمعرفة ، وتستثمر ثروات الأرض العربية الغنية ، وتأخذ بكل أسباب القوة ؛ وبقيام هذه الدولة العربية الموحدة ، وبناء مواطنيها هذا البناء القوي الراسخ ، يتم القضاء على اسرائيل ، من قبل أن تبدأ الجولة الثانية .

إن إقامة الدولة العربية الموحدة في العالم العربي لا تتم إلا بالقضاء على الاستعمار وأذنا به فيه أولاً ، والاستعمار هو خالق اسرائيل وحاميها ، وبطرده من العالم العربي وتصفية أعوانه ينكشف ظهر اسرائيل ويقترب يومها الموعود ! وقد أدرك شعراء النكبة هذه الحقيقة فتلاقوا جميعاً على مهاجمة الاستعمار وتحميل المستعمرين مسؤولية النكبة ، ودعوا الشعوب العربية في كل قطر عربي إلى الثورة على الاستعمار وطرده من العالم العربي والقضاء على زبائنه وأعوانه .

أهمل شعر النكبة قيمة العنصر الأخلاقي عند دعوته الشعور العربي إلى القوة والتعبئة لمواجهة النكبة، وليس ريب في أن من الصعب على شعر النكبة أن يؤدي مهمته في تعميق الشعور بالخطر لدى الجماهير العربية إذا كان دعاة الانحلال ينفثون فيها سموهم الجنسية دون وازع أو رقيب، ويسكبون في أعصاب الشباب العربي نار الشهوة، بقصائدهم المفضوحة العارية، ومن أين للشباب العربي - وهو يخوض مع أمته معركة البقاء أو الفناء - أن يتجأ ويتأسك ويستعد ليوم الزحف، إذا كان أدب التمييع والشهوة يستأثر برأسه، ويستشير غرائزه ويهيج بهيمته، ويدفع به كالجنون وراء كل أذى يتخيلها «نيذرية الفم، جائعة الشفتين، زيتية العينين، طائشة الضفائر، مشنجة العروق، سعيرية النهدين، ملتبهة المفاصل إلخ...»

إن في إقبال الطبقة القارئة في العالم العربي على دواوين هؤلاء الشعراء، ورواج شعرهم في أوساط الشباب العربي، دليلاً على انتشار الوهن الخلقي وضمور الإحساس بالخطر الجاثم على الحدود؛ وعلى شعر النكبة أن يتنبه لهذا الداء ويكافحه، وأن يتبنى الدعوة إلى التعبئة الأخلاقية، لخلق جيل عربي مؤمن ينفر من الانحلال والتمييع، ويحسن



المقاومة والصمود في وجه المغريات ، ويقدر على خوض المعركة القادمة وانتزاع النصر .

## — ٦ —

ويضعنا البحث في خصائص شعر النكبة أمام مشكلة الشعر العربي المعاصر كله ، وجهاً لوجه ، من حيث الموضوع ( الفكرة الشعرية المتلزمة ) ومن حيث الصياغة ( الشعر الحر ) وبذلك نصل إلى أهم أثر للنكبة في أدبنا المعاصر ، شعره ونثره .

أما الدعوة إلى الالتزام فإن النكبة أكبر عامل في إثارتها ، ذلك أن النكبة قدّمت لشعرائها مادة واقعية غنية ، وشغلت بآسيا وويلاتها وأهوالها الضمير العربي ، فانطلقت الصرخة من أعماقه ، داعية إلى مطاوعة الأدب الحديث لواقع الأمة العربية المرير ، ليعيش الأدب تجربة الأمة ، ويكون هادفاً صادقاً حياً ، ويكون الأديب صاحب رسالة ، يستقي منها ، ليملاً مضمونه الشعري أو النثري منها ، لامن ذاكرته ومحفوظاته ، ولا من خياله ، فيربط بذلك بين إنتاجه والحياة الاجتماعية التي يحياها .

لقد أثّرت الدعوة إلى الالتزام في أعقاب الهزيمة ، وشغلت - وما تزال تشغل - الأوساط الفكرية في العالم العربي ، وانقسم النقاد

إلى فريقين : مؤيد ومعارض .

فهناك فريق يؤمن بالالتزام ، ويحث الكتاب والشعراء على اقتراض مآذهم من الموضوعات العربية « الصميمة » والواقع العربي الحاضر ، ويدعوهم أن يلتزموا في معالجتها برأي محدد في شجاعة وإصرار ، وأن يكون كل واحد منهم رائداً وقائداً نحو أهداف الأمة العربية الكبرى ومثلها الانسانية العليا<sup>(١)</sup> .

وهناك فريق آخر ، يسخر من الدعوة إلى الالتزام ، ويرى أنها دعوة إلى أن ينقلب الأديب داعية سياسياً أو فيلسوفاً منهجياً ، يردد كالبيغاء ألحاناً « جاهزة » موضوعة ، وبذلك تضيع حرية الأديب ، وتُحد آفاقه ، وتطمس شخصيته ، ويفقد الأدب التنوع والانطلاق .

---

(١) - يجب أن نشير هنا الى دراسة للناقد الكبير الدكتور محمد مندور الخّص فيها نظريته التحليلية الثاقبة الى حركة تطور الشعر الحديث مرتبطاً بالعقلية العامة للشعب العربي ، فهو يرى أن الدعوة الى الالتزام في الشعر المعاصر رد فعل للدعوة إلى الشعر الوجداني التي أثارها العقاد والمازني وعبد الرحمن شكري وشعراء المهجر في اول القرن العشرين ، والتي كانت بدورها رد فعل للنهج التقليدي الذي لزمته حركة بعث الشعر الحديث على يد البauerودي وشوقي وحافظ ( انظر : قضايا جديدة في أدبنا الحديث : ص ٧٧ - ٨١ ) . ونحن في كشفنا عن الصلة الوشيكة بين الدعوة الى الالتزام والنكبة لا نناقض نظرية الدكتور مندور ؛ بل نزيدها دعماً وايضاحاً ، فالعقلية العامة للشعب العربي عندما دعت الى الالتزام وثارت على الوجدانية الذاتية كانت مدفوعة - في رأينا - بعامل جديد رهيب هو النكبة .

وفي اعتقادنا أن التجربة القاسية التي تعيشها أمتنا العربية منذ الكارثة تدعو الأدباء العرب إلى الهبوط من أبراجهم العاجية ، ليعيشوا على الأرض ، ويسهموا في تعبئة الفكر والوجدان الشعبي العربي ، ويساعدوا على نشر الوعي وتكامله ، ويمهدوا الطريق إلى وحدة الأمة وخوض معركتها الفاصلة القادمة ، وإن طيبة المرحلة العvisية التي تجتازها الأمة العربية تنكر على الشعراء الوجدانيين انغزالهم عن المجتمع وانطواءهم على أنفسهم ، وتعيب عليهم أنانيتهم في قصر تفكيرهم على ذواتهم وتسخيرهم الشعر للتعبير عنها ، وتنعى عليهم هربهم من مسئوليتهم في علاج مشاكل مجتمعهم ورسم الطريق وتحديد الهدف أمام شعبهم ! وهكذا تكون الدعوة إلى الفكرة الشعرية الملتزمة دعوة إلى خلق أدب هادف يلعب دوراً قيادياً في معركتنا الكبرى .

## — ٧ —

وأما قضية « الشعر الحر » أو « الشعر الجديد » فهي ثورة جامحة على التقاليد الشعرية العربية في الشكل والمضمون ، ومحاولة لوضع تقاليد جديدة للشعر العربي .

يقوم الشعر الحر على وحدة التفعيلة في القصيدة ، وتنويع عدد التفعيلات في كل بيت تنويعاً يوافق انسياب المعاني ، وتوزيع الموجات العاطفية

توزيعاً موسيقياً ملائماً ، واعتبار القافية عنصراً عفوياً غير ملتزم ولا متعمد ، وبهذه الصياغة الجديدة للشعر تتحطم وحدة البيت ويضيع استقلاله ، وتُحفظ للقصيدة وحدتها «العضوية» بتناسك أبياتها وترابطها ، ويتم عند ذلك تحرر الشاعر العربي من الأوزان التقليدية وقيودها العاتية ، ومن تحكم القافية الواحدة وطغيانها ، ويكون في وسعه أن ينظم الشعر في قوالب لا حصر لها ، وأن يصوغه صياغة حية متحركة . ولا يكتفي الشعر الجديد بهذه الحرية الفنية في الصياغة ، ذلك أن دعائه يرون في الشعر العربي الكلاسيكي عيوباً في المضمون يجب أن يتخلص الشعر الحر منها ، فالشعر القديم عندهم شعر إيجاز وتلخيص واكتفاء بـ «اللمحة الدالة» ، وهو لذلك يضيق دائرة التجربة ، ويجردّها من أشخاصها ، ويعبر عنها تعبيراً مكثفاً «مختظاً» - كما يقول الشاعر المجدّد صلاح الدين عبد الصبور - ، وهو شعر «تعقيلي» يسبغ على التجربة وقار العقل ويسلبها أروع ما فيها ، وهو انفعاليتها وواقعيتها... ولهذا فالشعر الجديد عليه أن يمدّد التجربة ويبسطها ويعني بإيراد الجزئيات الصغيرة التي تتلاقى ظلالها لتزيد التعبير الشعري عن التجربة عمقاً ووضوحاً وأصالة ؛ وعلى الشعر الجديد أن يكون صادقاً في تمثيل الجانب الانفعالي من الحياة ، وأن يعبر عن وقع الوجود وأحداثه على الوجدان دونما طلاء أو زيف !

إن الشعر الجديد إذاً هو انقلاب ثوري على الأوضاع الشعرية

التقليدية ، فليس عجيباً أن يهتم النقاد بدراسته ورصد أسبابه ، وقد انتهى بعضهم إلى أنه امتداد للرعدة العنيفة التي طرأت على المفاهيم وتناولت كل وجوه الحياة الانسانية . يقول الدكتور أمجد الطرابلسي : « يجب ألا ننسى أن هذا الانقلاب الثوري الذي أُرْعش معبد الشعر وعصف بهدوئه في هذه السنين الأخيرة ، لم يكن قاصراً على الشعر العربي ، وإنما هي رعدة عنيفة انسابت في كيان الشعر العالمي كله ، ولم يكن للشعر العربي بد من أن ينجر في هذا التيار طوعاً أو كرهاً ، لأن سرعة العدوى هي الميزة التي تميز زمننا هذا الذي نعيش فيه ، فلقد محيت الحدود نهائياً أمام الإشعاع الفكري ، وإن الفكر اليوم -- أكثر منه في كل زمن مضى -- لا يمكن أن يكون ضيقاً ومحلياً .. »<sup>(١)</sup>

ولا ريب أن وراء الانقلاب دوافع أخرى أيضاً ، وهي دوافع كثيرة ومعقدة ، منها حقد بعض النفوس على التقاليد العربية -- أية كانت -- واندفاعها الضاري وراء تحطيم كل عقيدة ، فهذه شعوبية خبيثة ماكرة تستر برداء التجديد وتتقنع بدعوى التحرر والانطلاق ! ومنها غرور بعض الناشئين من الشعراء ، يعجزهم إقامة الوزن وإخضاع القافية ، فيختصرون الطريق ، ويتمردون على القيود ، ويأتون بهراء

---

(١) - انظر مقالة الدكتور أمجد الطرابلسي (خواطر في شعرنا المعاصر) في مجلة الثقافة الدمشقية : السنة الاولى ، العدد الثالث تموز ١٩٥٨ .

لا طائل منه ، ويسترون ضعفهم وهزيمتهم وراء دعوى عريضة من  
التجديد والتهمج على (عبيد التقاليد) من الشعراء المطبوعين ! ومثل هؤلاء  
الشباب المغرورين هم بحاجة إلى عصا ناقد صارم يغار على قداسة الفن  
ليصد هؤلاء المستهترين عن تدنيس هيكله ، ويعلمهم أن الأدب عسر  
لا يُسر ، وأن وراء كل أثر فني موهبة صامته عاملة وتضحية لاحد لها  
من سهر وعرق ودمع وصبر !

غير أن أهم دافع -- في اعتقادنا -- لهذا الانقلاب الثوري ينبع  
من النكبة . ذلك أن الهزيمة في فلسطين كانت صدمة عنيفة ، طاش في  
أعقابها العقل العربي ، فاخذت موازين القيم أمام عينيه ، وتفجرت في  
في اللا شعور نقمة مسعورة تستهين بكل القيم وتتحداها ؛ فالثورة على  
التقاليد الشعرية صورة للقلق النفسي والشك والحيرة والرغبة في التغيير  
والاندفاع نحو التحرر ، والاشتمزاز من الماضي والحاضر ..  
صورة للهزة الرهيبة التي كادت تحطم الضمير العربي في أعقاب الهزيمة ..  
وانقسم النقد أمام هذا الانقلاب فئتين أيضاً : فئة متشائمة ترى فيه  
اندفاعاً (لاواعياً) واستهتاراً مراهماً مغروراً ، وتساهلاً رخواً  
عاجزاً عن توفير القداسة للفن ، وأكثر هؤلاء النقاد المتشائمين -- وعلى  
رأسهم الأستاذ عباس محمود العقاد -- يرفضون أن يسموا الشعر  
الجديد شعراً ! وفئة أخرى متفائلة ، فهي لا تتوجس ولا تتخوف من هذا  
الإنقلاب ، وهي ترى في الشعر الجديد محاولة تطويرية ، ونزوعاً إلى

التجديد والحياة ، وفي مقدمة هؤلاء المتفائلين الدكتور محمد مندور الذي يدعو الناقمين على الشعر الجديد أن يبذلوا محاولات مخصصة لفهمه واستنباط مواطن الجمال فيه .

وفي اعتقادنا أن الشعر الجديد تجربة لا ضير منها ، فلا هي - وقد رأينا في الفصول السابقة من الكتاب نماذج ناجحة منها ، وسنرى في الفصل الأخير نماذج أخرى - « بهذيان المحمومين » كما يسميها الشاعر المحافظ عزيز أباطة ، ولا هي أيضاً « بالثورة التي تجعل من عصرنا عصراً شعرياً ذهبياً » ، كما يقول الشاعر المجدد صلاح الدين عبدالصبور ، وليس من ريب في أن هذه التجربة إذا قادها الوعي الفني والقومي والإنساني بعمق وموهبة وأصالة ، كان لها مستقبل في صياغة الفكرة الشعرية صياغة جديدة حية متحركة ، وفي تطوير الشعر العربي الحديث كله .

## — ٨ —

وخاتمة القول أن شعر النكبة هو لباب الشعر العربي المعاصر وجوهره ، وأن في دراسته ورصد تياراته وتقويم خصائصه دراسة ورصداً وتقويماً للاتجاه الرئيسي الفعال في الأدب المعاصر كله .

إذا كانت كارثة فلسطين القومية الكبرى نكبة للأمة العربية ،

وتجربة هزت أعماقها، وأظهرتها على أنها في حاجة إلى تطوير أوضاعها وتغيير أساليب تفكيرها وعملها وحياتها ، فإنها نعمة و نعمة في آنٍ معاً ! ذلك أن إيقاظ أمة غافلة من نومها السحيق العميق ولفتها إلى ضرورة البناء الجاهد الدائب لإزالة معالم النكبة ، نعمة أية نعمة !

ولكن النكبة هي دون ريب نعمة خالصة على الأدب العربي المعاصر ، والشعر منه بخاصة ، فقد قدمت له غذاء دسماً ومادة لا تنفد ، ودفعته في طريق التطور والتجديد والحياة !

إن الجيل العربي الذي عاش ليل النكبة ، واستيقظ على فجائعها وأهوالها السود ، لا يزال يرقب ميلاد الفجر ، وإنه لقريب ، وقد لاحت بشائره ، وعلى شعراء النكبة أن يتابعوا إنشاد أقوى الألحان وأصفافها ، وأن يزيّدوا في تعميق الوعي القومي الإنساني المؤمن الخير ، وأن يضخّموا منابع الأمل والتفاؤل والثقة بالنفس العربية ، وأن يدفعوا الطاقة العربية إلى إدراك ذاتها ، والإيمان بماضيها ومستقبلها وأن يهيئوها ويعدوها للقيام بدورها المنتظر في تطوير حاضرها ، بخوض معركة الوحدة والثأر والتحرير .





# الفصل السادس

## منتخبات من ديوان النكبة

ديوان النكبة هو هذه المجموعة الضخمة من الشعر الذي صاغته النكبة بلسان عدد كبير من الشعراء ، وهو شعر يكاد يستعصي على الجمع والحصص ، ذلك أنه منشور في تضاعيف دواوين الشعراء المعاصرين للنكبة ، ومبعثر في بطون الكتب والمجلات والصحف ؛ ولما لم يكن من السهل على كل يد أن تصل إليه أو إلى الكثير منه ، آثرت أن أورد منه في هذا الفصل الأخير من الكتاب مختارات متنوعة ، تعين القاريء على توثيق صلته بشعر النكبة وتعميق فهمه وإدراكه لخصائصه الفنية ، وكل رجائي أن تزيد هذه المنتخبات دراسي التخطيطية المجملة لشعر النكبة إيضاحاً وأن

تساعد على إبراز الأثر الكبير الذي تركته نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر .

— ١ —

كان لثورة فلسطين عام ١٩٣٥ - ١٩٣٦ في الدور الأول من النكبة صدى لاهب في كل قطر من أقطار العرب ، ودوى صوت الشعر يحيي آلام النفس العربية وأشجانها ، ومن لبنان كان صوت الشاعر المسيحي الكبير بشارة الخوري يهز الضمائر ، ويمجد شهداء الثورة ومنكوبيها ، ويدعو الأمة العربية إلى الإسهام في البذل والفداء<sup>(١)</sup> :

سائلِ العلياء عناً والزمانا	هل خفرتنا ذمةً مذ عرفانا
المروءات التي عاشت بنا	لم تزل تجري سعيراً في دسانا
ضحك المجد لنا لما رآنا	بدم الأبطال مصبوغاً لوانا
عُرس الأحرار أن تسقي العدى	أكؤساً خمرأ وأنغاماً حزاني

يا جهاداً صفق المجد له	لبس الغار عليه الأُرجوانا
شرفٌ باهت فلسطين به	وبناءٌ للمعالي لا يُداني
إن جرحاً سال من جبهتها	لثمة بخشوع شفتانا

---

(١) - ديوان الهوى والشباب ص : ١٦٥ - ١٦٨ .

وَأَيْنَا بَاحَتِ النَجْوَى بِهِ عَرِيصاً رَشَفْتَهُ مُقْلَتَانَا

يا فلسطينُ التي كَدْنَا لِمَا  
نَحْنُ يَا أختُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي  
يُثْرِبُ وَالْقَدْسُ مِنْذُ احْتَلَمَا  
شَرَفَ لِلْمَوْتِ أَنْ نُطْعِمَهُ  
كَبَبْتَانَا وَهُوَ الْعُرْبُ هَوَانَا  
أَنْفُساً جِبَارَةً تَأْبَى الْهَوَانَا  
كَيْفَمَا شَتَّمْ فَلَنْ تَلْقُوا جِبَانَا  
غَذَّتِ الْأَحْدَاثُ مِنَّا أَنْفُساً  
لَمْ يَزِدْهَا الْعَنْفُ إِلَّا عُنْفَوَانَا

قُمْ إِلَى الْأَبْطَالِ نَفْسُ جُرْحِهِمْ  
قُمْ نَجِّعْ يَوْمًا مِنَ الْعَمْرِ لَهُمْ  
لَمَسَةً تَسْبِجُ بِالطَّيِّبِ يَدَانَا  
إِنَّمَا الْحَقُّ الَّذِي مَاتُوا لَهُ  
هَبَّةُ صُومِ الْفُصْحِ هَبُهُ رُمُضَانَا  
حَقَّنَا ، نَمْشِي إِلَيْهِ أَيْنَ كَانَا

## — ٢ —

ومن العراق علت صرخة الشاعر محمد مهدي الجواهري في الدور  
الأول من النكبة ، يدعو العرب إلى القوة والسلاح ، ويحذّرهم من  
الغفلة والنوم أمام نهم الطامعين في الاستيلاء على الوطن العربي ، بلداً  
بعد بلد ، وينذرهم بأنهم سيضيعون فلسطين ومكة وبغداد ودمشق

إذا لم يفتحوا أعينهم على الخطر ، ويعدوا له ما يستطيعون من أسباب القوة والصمود<sup>(١)</sup> :

فاضت جروح فلسطينِ مذكرةً  
جرحاً بأندلسٍ للآن ما التأما  
يا أمةَ غرّها الإقبال ناسيةً  
أن الزمان طوى من قبلها أما  
كانت كحاملةٍ حتى إذا انتبعت  
عضّت نواجذها من حرقةٍ ندما  
سيُلهقون فلسطيناً بأندلسٍ  
ويعطفون عليها البيت والحرما  
ويسلبونك بغداداً وجأقةً  
ويتركونك لا لحماً ولا وضماً  
يا أمةَ لخصومٍ ضدّها احتكمت  
كيف ارتضيتِ خصياً ظالماً حكماً  
بالمدفع استشهدي إن كنت ناطقةً  
أورمت أن تُسمعي من يشتكي الصما  
سلي الحوادث والتاريخ هل عرفا  
حقاً ورأياً بغير القوة احتراماً  
لا تطلي من يد الجبار مرحةً  
ضعي على هامةٍ جبارةٍ قدما  
أقسمت بالقوة المعتر جانبها  
ولست أعظم منها واجداً قسماً  
إن التسامح في الإسلام ما حصدت  
منه العروبة إلا الشوك والألماً  
في حين لم تعرف الأقوام قاطبةً  
عند التزاحم إلا الصارم الخدماً

فيا فلسطين إن نعدمك زاهرة  
فلسطين أول حق غيلةٍ هضما  
هزت رزايك أوتاراً لناهضةً  
في الشرق فاهتجن منها الشجول النغما

(١) - الفلسطينيين - مجموعة قصائد جمعية الرابطة العلمية الادبية في النجف :

ثار الشباب ومن مثل الشباب إذا ربيع الحمى وشواظ الغيرة احتدما  
 يأبى دمٌ عربيٌ في عروقهم أن يصبح العربي الحر مهتضاً  
 لا يأبهون يارهاب، إذا احتدموا ولا بمصرعهم إن شعبهم ساماً

### — ٣ —

ومن سورية كانت أنات شاعرها الكبير عمر أبي ريشة تروي  
 منذ الدور الأول للنكبة حكاية مصرع المجد عند تربة المسيح وعيثان  
 اليهود في الأرض المقدسة رغم أنف الرجال<sup>(١)</sup> :

قف على تربة المسيح وشاهد مصرع المجد فوق طهر الرمال  
 عاث فيها المشردون رضيعو لبن الذل في مهود الضلال  
 كل يوم يرمون جمرةً بغبي في هشيم، من تقمة، ونكال  
 والرجال الأبهة رغم إياها تخفض الهام ، ياغرام الرجال !  
 نكد الدهر أن ينال جبان من جسور، مشدد الأغلال  
 وإذا التاب والمخاب طاحت لطم الذئب جبهة الرئبال !  
 قل لمن يعرف الحسام بكفيع له ضلالاً من أكبد الأبطال  
 إن صوت الطعنات تنخر في العظم هم وترجي الأهوال بالأهوال  
 كصيرير المسمار في كف عيسى ليس تنسى صداه أذن الليالي !!

(١) - عمر أبو ريشة : شعر ص ٢١٢ - ٢١٣ .

وعندما وقعت الكارثة سنة ١٩٤٨ وقضت الحياة أن تقوم لاسرائيل دولة في فلسطين وأن ييوء العرب بالمذلة والانكسار ، سالت دموع الشاعر وانطلقت اللعنة من فمه تدمغ الجناة وتدينهم<sup>(١)</sup> :

أمتي هل لك بين الأمم	منبرٌ لل سيف أو لل قلم
أثلك وطرفي مطروق	خجلاً من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثاً	يبقايا كبرياء الألم
أين دنياك التي أوحى إلى	وترى كلّ يقيم النعم
كم تخطيت على أصدائه	ملعب العزّ ومغنى الشمم
وتهاديت كَأني صاحبٌ	مئزري فوق جباه الأنجم
حلمٌ مرّ بأطياف السنا	وانطوى خلف جفون الظلم

أمتي ! كم غصة دامية	خنقت نجوى علاك في فمي
أي جرح في إباطي راعف	فاته الآسي ، فلم يلتئم
الاسرائيل تعلو راية	في حمى المهد وظل الحرم
كيف أغضيت على الذل ولم	تنفضي عنك غبار التهم
أوما كنت إذا البغي اعتدى	موجة من لهب أو من دم
فيم أقدمت وأحجمت ، ولم	يششف الثأر ولم تنقمي
اسمعي نوح الحزانى واطربي	وانظري دمع اليتامى وابسمي

(١) - عمر أبو ريشة: مختارات ص ١١٠ - ١١٤ .

واتركي الجرحى تداوي جرحها وامنعي عنها كريم البلم  
ودعي القادة في أهواءها تتفانى في خسيس المغنم !  
ربّ « وامتصاه » انطلقت ملء أفواه البنات اليتيم  
لامست أسماعهم لكنّها لم تلامس نخوة المعتصم !

أمّي ! كم صنم تجذته لم يكن يحمل طهر الصنم  
لا يلام الذنب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم  
فاحبسي الشكوى فلولاك لما كان في الحكم عيّد الدرهم

أيها الجندي يا كبش الفدا يا شمع الأمل المبتسم  
ما عرفت البخل بالروح إذا طلبتها غصص المجد الظمي  
بورك الجرح الذي تحمله شرفاً تحت ظلال العلم

وأقبل العيد عام ١٩٤٩ على الشاعر فتلقاه حزناً كبير القلب<sup>(١)</sup> :

يا عيدُ ما افترّ ثغر المجد يا عيدُ فكيف تلتقاك بالبشرى الزغاريدُ  
وكيف ينشقّ عن أطياف عزّتنا حلمٌ وراء جفون الحق موءود  
طالعتنا وجراحُ البغي راعفةٌ وما لها من أساة الحيّ تضميد  
فللفגיעةٍ في الأفواه غمغمةٌ وللرجولة في الأسماع تنديد !

(١) - عمر أبو ريشة: مختارات ص ١٠٤ - ١٠٦ .

فتلك رايتنا خجلى منكسة  
 ما بالها وثبت للثأر وانكفات  
 يا للشعوب التي قادت أزمته  
 فأطمعت كل باغٍ في كرامتها  
 فأين من دونها تلك الصناديدُ  
 وسيفها في قراب الذلّ مغمود  
 على الليالي ، عباديدُ رعايد  
 لا يُلطم الليث إلا وهو مصفود

ياعيدُ كم في رواي القدس من كبد  
 سألت على العزّ إرواءً لغصته  
 هيئات لن يشتكي ما طلّ من دمها  
 سينجلي ليلنا عن فجر معترك  
 لها على الرفرف العلويّ تعيد  
 والعزّ عند أباة الضيم معبود  
 فالحقد مضطرم والعزم مشدود  
 ونحن في فمه المشبوب تغريد !

## — ٤ —

وكان الشعراء العرب في المهاجر الأمير كية يحيمون من وراء البحار  
 فلسطين وجهادها ، ويككون جراحها في صدق وحنين ؛ وفي الدور  
 الأول من النكبة اجتمع المهاجرون العرب في بروكلن عام ١٩٣٨  
 بمناسبة ذكرى وعد بلفور المشؤم ، في حفل كبير ، وألقى أحد شعراء  
 الرابطة القلمية في المهجر ، السيد نسيب عريضة ، قصيدة تفيض  
 باللوعة والألم<sup>(١)</sup> :

(١) - الأرواح الحائرة : ص ٢٦٠ - ٢٦٣



فلسطين ، من غربة موثقه  
فتعلو وتهبط منا الصدور  
ومن خلف هذا الخضم البعيد  
نراعيك في الكربة المطبقة  
وننهفو ، وأبصارنا مطرقة  
نحييك بالدمعة المحرقة

جهادك أوري زناد النفوس  
جهاد ملأت به الخافقين  
وسطرت آياته في الخلود  
فلسطين ، كم أرق بيننا  
إلى ساحة المجد فيك يتوق  
فيمسي على ثورة في الحشا  
وتبكي المروءة مجروحة  
لدمع اليتيم وأم اليتيم  
حذار من الدمع يا أوصياء  
ولو صادف الدمع أسطولكم  
فطارت شرارتها مبرقة  
فضاقت به القوة المرهقه  
بأرواح أبنائك المزهقه  
وبعض البلية ما أرقه  
ولكن حبل النوى أوثقه  
ويصبح والعين مغروره  
وتأسى الأمانى مخلوقه  
وكظم الصدور على المنخقه  
ففي لجئه عطش المحرقه  
لحفنا من الدمع أن يغرقه !

خفرتهم عهود الولاء الجميل  
ذبحتم فلسطين ، يا ويحنا  
لوعده لبلفور قد لفقه  
أبجتم حماها لمستزقه

بني ربة البحر ، لا تشمخوا  
سلوا الدهر ينبتكم عن ثقه

إذا نظر الكون شذراً إلينا فأعيننا نُحسن الحلقة  
وإن يرغب العسفُ في ذلنا فويل المذل وما أحقه

فلسطين ، أحييت أيامنا ومجداً لنا كان ما أسبقه  
وبالدم وهو نجيع الحياة سقيت الثرى جرعة مدهقه  
في الدمائك مهراقة فداءً لأجدادنا المهرقة

فلسطين سيراً إلى المشنقه فلسطين صعداً على المحرقة  
وموتي فلسطين! فالموت فخر فداء الحرية مطلقه !

## — ٥ —

وحمل شعراء المهجر على « بلفور » ووعده ، وسخروا من كرمه  
الانكليزي حين يسخو على اليهود فيمنّهم بقطعة أرض ليست من بلاده  
كما يقول شاعر المهجر الأول ايليا أبو ماضي في قصيدته « فلسطين »  
وهي أبيات تذوب ألفاظها سهولة ورقة وموسيقا ، وتتوئب معانيها  
قوة وعنفاً ورجولة ، وفيها جانب من السند الجدلي الذي يدعم حق  
العرب في فلسطين ، ويدك باطل اليهود ويهدم مزاعمهم وادعاءاتهم ،  
وهذا شيء لم ينتبه اليه أكثر شعراء النكبة الآخرين ، ولم يُعنوا به ،

كما فصلنا ذلك في الفصل السابق <sup>(١)</sup> ، يقول أبو ماضي <sup>(٢)</sup> :

ديارُ السلامِ ، وأرضُ الهنا	يشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العُلا	وما كان رزءُ العلاء هيناً
سهرنا له فكأن السيوف	تحزّ بأكبادنا ههنا
وكيف يزور الكرى أعيناً	ترى حولها للردى أعينا
وكيف تطيب الحياة لقوم	تسدّ عليهم دورب المني
بلادهم عُرْضةٌ للضياع	وأمتهم عُرْضةٌ للفناء
يريد اليهود بأن يصلبوها	وتأبى فلسطين أن تدعنا
وتأبى المروءة في أهلها	وتأبى السيوف وتأبى القنا
أأرضُ الخيال وآياته	وذات الجلال وذات السنا
تصير لغوغائهم مسرحاً	وتغدو لشذاذهم مسكناً !
فقل لليهود وأشياعهم	لقد خدعتكم بروقُ المني
ألا ليت « بلفور » أعطاكم	بلاداً له لا بلاداً لنا
( فلندن ) أرحب من قدسنا	وأنتم أحب إلى ( لندن )
فليست فلسطين أرضاً مشاعاً	فتُعْطى لمن شاء أن يسكنا
فإن تطلبوها بسمر القنا	نردّكم بطوالِ القنا
ففي العربي صفاتُ الأنام	سوى أن يخاف وأن يجبنا

(١) - انظر ما تقدم ص ٨٤ .

(٢) - الجمائل : ص ٩٤ - ٩٦

فلن تخذعوا رجالاً مؤمناً	وإن تحجلوا بيننا بالخداع
فإن فلسطين ملكٌ لنا	وإن تهجروها فذلك أولى
وتبقى لأحفادنا بعدنا	وكانت لأجددانا قبلنا
وليس لنا بسواها غنى	وإن لكم بسواها غنى
فلم تك يوماً لكم موطناً	فلا تحسبوها لكم موطناً
وليس الذي رمتُم ممكناً	وليس الذي نبتغيه محالاً
« بليفور » ذبالك الأرعنا	نصحناكم فارعوا وانبدوا
بأن تحملوا معكم الأكفنا	وإما أيتم فأوصيكم
لنا وطناً ولكم مدفننا	فإنّا سنجعل من أرضها

## - ٦ -

وللشاعر المهجري الياس فرحات شعر كثير في فلسطين ونكبتها، فإذا قرأنا ما قاله منه قبل التقسيم طالعنا زئير الشاعر العربي المعتز بأمته، الواثق بعزيمتها ونجدتها، وهو يهدد اليهود الطامعين ويتوعدهم بالزحف العربي لإتقاذ الأرض المقدسة<sup>(١)</sup> :

ليتك ليك ياريجانة العرب يابنت عدنان يامعصومة النسب  
النيل يزحف والعاصي ليشتركا والرافدين مع الأردن في الغلب

(١) - الحريف : ص ٦٢ - ٦٦

والرملُ أو مثله عدأً ستقذفه من الجزيرة ريحُ الحقد والغضب  
 يامن طغوا وتمادوا عاقدين على وعدٍ سخيْف بناءً شامخ القبب  
 ستعلمون متى حاق البلاء بكم كم في الوعود وفي الآمال من كذب  
 وكم يكآف تهيج الأسود وكم خلف العتو والاستفزاز من نوب  
 ستندمون ولكن حين لا ندمٌ يجدي ولا أسفٌ يُنجي من العطب  
 سنغسل القدس من أوساخ أمتكم يأمة الوسخ المطلي بالذهب  
 والتلُّ، تل أيب سوف تتركها تلاً من الردم في بحر من اللهب  
 بنيتموها ببال السحت عاصمة وليس يعصمكم منا سوى الهرب

صبراً فلسطين، من بدو ومن حضر ستُنصرين ، ومن ثلويٍّ ومغترب  
 إذا أباحك ضاديٌ لمغتصب فقد أباح كريم العرض والحسب  
 فلما تم التقسيم وانتهت المهزلة الحرية بخيانة الملوك والرؤساء  
 كان ألم الشاعر فرحات عميقاً حقاً ، نلمسه في ثورته العارمة على الخونة  
 ودعوته الشباب العربي إلى الثأر ومحو العار<sup>(١)</sup> :

أشباب يعرب قم فنحن هنا نلقى بملءِ صدورنا المحنا  
 قم نمحُ عاراً تحت وطأته كادت تمسّ جباهنا الدّما  
 قم ردّنا للحقّ نعبده إنّا لنوشك نعبد الوثنا

لولا رجاءُ النازحين عن الـ أوطان فيكَ لأنكروا الوطنـا

قل للمغير على منازلنا كالسيل ينفذ من هنا وهنا  
حملت نفسك فوق طاقتها وركبت ويحك مركباً خشناً  
إن لم يكن زمن يوافقنا للثأر منك سنخلق الزمنـا  
فاجعل ضريحك جاهزاً أبداً وأعد نفسك واحمل الكفنـا

وإذا لقيت ذوي الجلالة من ساداتنا المتحكمين بنا  
وذوي السمو وكل ذي لقب خاو كصاحبه قليل غنى  
فاهزأ بألقاب لهم سممت وكرامة هزلت أسى وضنى  
ديست بأقدام اليهود فيا شـم الأنوف استنشقوا الدرنا

أهمدمين بسوء دخلتهم يوم الكريهة ماصلاحُ بنى  
دُقوا وغنوا في مآمتنا لكم البداءة والختامُ لنا  
فستأكلون أكفكم ندماً وستشربون دموعكم حزنا  
وستدفعون لكل سائلة عن عرضها أعراضكم ثمنا

وحملة فرحات على الملوك وخياناتهم تذكرنا بسياط أبي سلمى التي

ألهب بها ظهورهم وكشف بها مخازيهم . يقول فرحات <sup>(١)</sup> :

ملوكٌ ظنناهم صقوراً وعندما	غزينا رأينا صاحب التاج هُدهداً
أباحوا لأجلاف اليهود جبانةً	بلاداً أغار المجد فيها وأنجداً
وعرضاً كأعلى الشمس أدناه أعجلت	ذراري الخنى فيه لساناً محدداً
لهوا عن عصابات العدا باختلافهم	فكانوا على الأوطان شراً من العدا
مطامعُ أفرادٍ بميراث أمةٍ	مبعثرة يخشون أدن تتوحداً

ويقول فرحات أيضاً <sup>(٢)</sup> :

أرأيتُمُ الزعماء كيف تخاذلوا	أرأيتُمُ الأقيالَ والأمرءَ
ذَلَّ الجميعُ على عُلَى القابهم	لأذل من وطىء الثرى استخذاء
حملوا المعرة طائعين فحملوا	أثقالها الإخوانَ والأبناءَ
نشرت مخازيهم على آفاقنا	شرقاً وغرباً غيمةً سوداء
يتزاءرون كأنهم أسد فإنْ	لحوا العدا انقلبَ الزئير مواء
كبرت فريستهم على أقدارهم	فتقاسموها بينهم أشلاء
كثر الملوكة فكل منطقة لها	ملك يقيم الجند والوزراء
يمشي بها متعشراً فكأنه	أعمى يجر وراءه عمياء
والكائدون لنا يرون هلاكنا	بعشاره فيصفقون دهاء

(١) - الحريف ص : ٩٩ - ١٠٠

(٢) - الحريف ص : ١٣٩ - ١٤٠

لقد كان الشعراء المغتربون في المهاجر تؤرقهم أنباء النكبة الفلسطينية منذ الدور الأول وما يلاقيه العرب في الأرض المقدسة من اليهود وعصاباتهم في ظل ظليل من حماية السلطة الانكليزية ، وكانت أمنية المهاجرين أن يظهر بين العرب صلاح الدين الجديد ليقود حركة الجهاد في فلسطين ، وهذا صوت الشاعر المغترب جورج صيدح يسأل سنة ١٩٣٨ أين سيف صلاح الدين؟<sup>(١)</sup>:

واها فلسطين كم غاز قهرت وكم	جيش رددت على الأسوار منهزم
حتى لطمت بكفٍ لاسوارها	شعب بلا وطن ، جند بلا علم
حالة القوم من شتى الديار أتت	برقع الدين تحفي وصمة النهم
ماهابهم ظل فخر الأنبياء على	تلك البقاع ومشى أقدس الرمم
فأين سيف صلاح الدين يردعهم	أماله خلف في العرب كلهم

بني فلسطين ، سيل الغاصبين طما	كونوا له السد لا يعنو لمقتحم
نادوا الأخوة في العرباء قاطبة	واستنجدوا ببني الأعمام في العجم

---

(١) - ديوان النوافل : ص ١٣٠ - ١٣٢ ، وقد جعل الشاعر ربيع هذا الديوان كله لمناصرة لجان الدفاع عن فلسطين ، وهو مطبوع سنة ١٩٤٧



لعل غضبتكم تسري إلى رحم  
كم في المهاجر من عين تراقبكم  
وكم يد بالندی تسخو لنجدتكم  
في الشرق أو تلتقي في الغرب في الذمم  
وكم فؤاد بنار الوجد مضطرم  
وكم لسان لكم يدعو وكم قلم

مهلاً خلائف (بلفور) الكريم لقد  
حامي حمانا، حمانا الله منك ومن  
أكل شأنك ارغام الشعوب وأن  
مهد النبوة نأبى أن تدنسه  
جاوزتم شأوه في حلبة الكرم  
وصاية فرضتها عصبة الأمم  
تقوم فيها مقام الخصم والحكم  
إن نام فيه بنوصهيون لم نثم

وفي عام ١٩٤٣ يزور بعض الأمراء السعوديين الولايات المتحدة،  
فيذكرهم الشاعر المغترب صيدح بمأساة البلاد المقدسة ، ويتغنى  
بالدعوة الى وحدة العرب ، مسلميهم ومسيحييهم ، لإتقاذ الوطن  
المهدد<sup>(١)</sup> :

شعب صهيون إن جهلت علينا  
إن للقدس راية ليس تطوى  
ذاك « واد بغير زرع » سكناً  
جل مهدي المسيح ما كان سوقاً  
أوضاقت مجاهل الأرض عنكم  
علمتك السيوف ما ليس تعلم  
لاتطول الهلال « أنياب أرقم  
لنقيم الصلاة لادار أعجم  
وضريح المصلوب ما كان منجم  
أم حلال الشعوب فينا محرم

(١) - ديوان النوافل ص : ١٤٥ - ١٤٧ .

وعدوكم بنا والله وعدٌ      بعذاب للظالمين محتم

قل لمن دسّ في الصفوف شقاقاً      بين طه وبين عيسى بن مريم  
جحد الدين جاحدُ الوطن الغا      لي سواء مقلنس ومعمم  
علم الله ماغوى عيسوي      إن دعاه الجهاد لبى وأسلم  
والنيّ الذي يحرّر قومي      قلت : صلى عليه ربي وسلم !

وتحل الكارثة ، وتصرع فلسطين ، وتقوم فيها دولة لاسرائيل ،  
فيقول صيدح شعراً تلفحنا منه زفرات توج كالنار من قلب تدميه  
الحسرة على الأرض العربية الشهيدة ، وفي قصيدة ( الحجيج ) التي  
قالها في سنة ١٩٤٩ نكاد نلمس ( نبضات ) الألم وهي تضطرم في  
أعماق نفسه <sup>(١)</sup> :

حجوا جناح الله واعتصموا      ياقاضي الحاجات كن لهم  
إن الحجيج يحثم أمل      غيرُ الحجيج يحزهم ألم  
علمٌ على الحرمين ذكرهم      بالثالث الهاوي به العلم  
بالمسجد الأقصى ، بجيرته      بآتم في العيد تنتظم  
بفواجع في الدور نازلة      لم تنج من أهوالها الخيم  
حملت فلسطين الصدورُ إلى      قبر الرسول إليه تحتكم

(١) - ديوان نبضات : ص ٢٥-٢٦

تستشفع الأضحى وحرمة  
في أمةٍ لليت زاحفةٍ  
في موطن هانت به الحرم  
والغاصبون بيتها ازدحموا...

الفأر يلعب في عرائنها  
العابثون بحقنا اتحدوا  
والليث في الأوجار معتصم  
والقائمون بأمرنا انقسموا  
حتى متى هذا الخنوع لهم  
ثوري عليهم لأنهم رمموا  
قسماً بأوطانٍ أقدسها  
للغرب أوضاعٍ إذا انخطمت  
يا يوم يغلي في العروق دمٌ  
سنرى الدخيل يعض اصبعه  
والمالكين هوت أرائكهم  
فبكوا لو استطاع البكا صنمٌ  
بش الشعوب تقودها رمم  
إن جاز لي بالقدس القسم  
أضلاعُ إسرائيل تنحطم  
ويهب للشارت منتقم  
ندماً ، ولم يشفع به الندمُ  
فبكوا لو استطاع البكا صنمُ

ثم يرجع الشاعر النازح إلى وطنه ، وعار أمته في فلسطين يقض  
مضجعه ، وفي قصيدة ( الغراب الغازي ) يقص علينا الشاعر العائدقة  
ذلك الغراب الذي اقتحم عليه غرفته في بحمدون ، فخيّل إليه أنه قادم  
من هناك .. من إسرائيل<sup>(١)</sup> :

تطيرتُ من ناعب في الصباح  
دخيلٍ على مهرجانات السنا

---

(١) - أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الاميركية ص ٥٤٢ - ٥٤٣

مغيرٍ يمزق شمل الرياحُ  
 غمامة غمّ تجاه البطاح  
 تقزّز منه عيون الأفاح  
 تسرب في غرفتي واستراح  
 كأنّي اعتزلت حياة المراح  
 خلا الجو من هينات الصداح  
 أتأبى جوار الغراب الوقاح  
 ومن أنبا الطير أن اجتياح  
 وأن اتساي إلى يعرب

يحائل مأواي للأجني !  
 وأنا أهدده بالفنا بكفي، وكفي خلت من سلاح؟

أضيف الهنا إن بقي المباح  
 وزادي - أعيدك منه - جراح  
 شهرت عليك لساني الصراح  
 سألتك بعد الغدو الرواح  
 وماضٍ لوزرت (تل) السفاح  
 هنالك سربك يحني الرباح  
 كرهتكَ ضيفاً دجيّ الوشاح  
 صغيرٌ يضيق بضيف الهنا  
 أغمّس فيها فتات الضنى  
 فأعيا ، أطولُ منه القنا  
 عسى البين يصلح ما بيننا  
 وعششت بين وكور الحنا  
 ولا يُسأل اللص عمّا جني  
 دجيّ الحواشي دجيّ المني

إذا وصفتك القوافي الفصاحُ دعوت عليها بأن ترطنا  
 تسيء وأنت طليق السراح ويرزح بالقيد من أحسننا  
 أحلتُ عليك النسور الغضابُ  
 ولكن .. حسدتك يا ابن التراب  
 ترود الأعالى وأبق هنا فعندك ماليس عندي - سلاح !

## - ٨ -

وليس غريباً أن يجمع بعض الشعراء بين نكبة العرب بفلسطين  
 الشهيدة ونكبتهم بالأندلس ، فهذا هو الشاعر اللبناني الاستاذ محمد  
 علي الحوماني يغمس ريشته بدم قلبه ليكتب سنة ١٩٥٣ موشحة حزينة  
 يسميها « أندلس الشرق » (١) :

ويك يا جامعة العرب ذوى غُصن المجد ولما يكتس  
 أين من يومك في وادي (طوى) يوم (فرديناند) في الأندلس ؟  
 صيحة دوت على كل فم وقر الذعر بها سمع الزمن  
 فانبرى طوعاً لها كل كمي نافرأ من (حلب) حتى (عدن)

---

(١) - ديوان النخيل : ص ٣٤ - ٤٥

ينشد العزة إرث المسلم  
يضرب الأرض ويستوحي السما  
هاتفاً بالعرب من كل حمى  
بأذلاً من دمه أغلى ثمن  
أين من عينه بيت المقدس  
فصلي يا أرض منهم والبسي

حفل (اليرموك) بالصيد الألى  
عانق الأردن فيه الموصل  
ومشت مصر تقود الجحفا  
فإذا غزة سوداء الضحى  
وإذا صهيون في شقى رحي  
والتشام اعتنقت عماته  
تتقى شهب السما سودانه  
وإذا اليرموك ضاحي الغلش  
يتلقى وثبة المفترس

زمجرت نجدٌ وثارت جأق  
ومشى تحت العجاج الأزرق<sup>(١)</sup>  
وتعالى للسماء الأبلق<sup>(٢)</sup>  
فاذا المسلم في بحر الدما  
وإذا يعرب يزجها الظما  
فاستفز الذعر قلب الرافدين  
بالأناشيد تهز الخافقين  
هاتفاً بالأسد خلف الغوطتين  
ينشد العزة فوق القدس  
للمغيرين على نابلس

---

(١) - الأزرق نهر في شرقي الاددن

(٢) - الأبلق جبل في الإقليم الشمالي ( سورية )

ثم ماذا كان ، والكون دجا  
ومشى الجند يشق الرهجا  
... كانت الهدنة ، يا بئس الرجا  
عفروا بالمشتري وجه الثرى  
فإذا الثعلب يحتل الشرى  
والسما امتلأت بالشهب  
باعثاً في الأرض مجد العرب  
في الألى دانوا لها من كشب  
وتولونا حفاة الأروس  
وإذا الليث حيس النفس

من رأى الأيم في عرض الفلاة  
هتكت حرمتها أيدي الجناة  
فاستوى الموت لديها والحياة  
لا الأب الحارس يحميها ولا  
معقل الآباء إذ منهم خلا  
نهب ثكل وشقاء ووصب  
من عدوياً : يهود وعرب  
تحت بؤسين : هوان وسغب  
هي من أمتها في حرس  
عاد بالأبناء واهي الأسس

يامغيب الشمس جددت الأسى  
نكبات بذت الأندلسا  
كلما قيل انتهت قلنا عسى  
و « عسى » كانت ولم تبرح لدى  
ذهب العمر مع القول سدى  
في فلسطين بما لم نطق  
إذ تبدأها بنو المصطلق<sup>(١)</sup>  
أن يعود الشرق غض الشفق  
كل جيل عدة المبتس  
وسوى الأقوال لم نلتمس

---

(١) - بنو المصطلق : قبيلة يهودية في جزيرة العرب

كانت مأساة فلسطين تشغل منذ الدور الأول من النكبة أكثر شعراء العالم العربي ، فكانوا إذا بكوا في شعرهم مصائب أمتهم خصوا فلسطين بالدمعة السخينة ، وصرخوا في النائم الغافل صرخة الإنذار والتنبية ، وفي عام ١٩٣٨ كان الأستاذ خليل مردم بك يستثير همة العرب لمأساة اللواء وأحداث الاسكندرونة بقصيدة عامرة عرج في آخرها على فلسطين ، وثار على ما رآه من تخاذل العرب عن نجدتها<sup>(١)</sup> :

بني العروبة كم من صيحة ذهبت لو يستشار بها الموتى إذا ثاروا  
إن الحوادث لو أدركتم عبر فأين — لا أين — الباب وأبصار  
الرحم واشجة والدار جامعة فلم تقطع أرحام وأقطار  
هتم على كل شعب من تخاذلكم شأن العبيد وباقي الناس أحرار  
لم تُغن كثرتكم عنكم كأنكم على المزيد — ولا أرقام — أصفار..  
تخربون بأيديكم بيوتكم جهلاً أكلكم يأعرب أغمار  
يأليت شعري ماذا يستفزكم حمى مباح وإذلال وإفقار  
أرى الحجارة أحمى من أنوفكم كم أرسلت شرراً بالقدهح أحجار  
إخوانكم في فلسطين تنالهم بالسوء والعسف أنياب وأظفار

(١) — ديوان خليل مردم ص ١٣٦ .



مهد المسيح ومعراج النبي وأو لى القبلتين بهالم يأمن الجار  
كم ربيع سرباً بها بغياً وكم هتكت من حرمة الحرم القدسي أستار  
أين السوابق للأجلى إذ نزلت إن الحوازب والأحداث مضمار

## - ١٠ -

وفي قصيدة من قصائد شاعر الشام الأستاذ شفيق جبري ، التي  
مجد فيها ثورة العرب ، مثلت لعينيه فلسطين « وهي — كما يقول — ليست  
لأهل فلسطين وحدهم ، وإنما هي للعرب كلهم » فراعته جراحها  
وآلامها فقال <sup>(١)</sup> :

أبعث اليهود في حرم القد	س فساداً والنوم يأخذ منا
لفظتهم جوانب الأرض شذاً	ذأ فتاهوا القرون قرناً فقرنا
ضجرت منهم الشياطين والإذ	س فأنى نحنو عليهم أنى
احصدوهم حصد السنابل حتى	تتداعى صهيون ركناً فركنا
لو تمور السماء والأرض ماداً	نت فلسطين عنوة أو دنأ
أربعاً لو تُطبق رجع بيان،	لتعالى البيان فيها ورتنا
فكان الجبال تقذف حقداً	وكان البحار تُرسل ضغنا

(١) — أنا والشعر : ص ٣٠

كم لفيفٍ على رفات لفيفٍ ضاحك في جهاده يتغنى  
وغصون من الشباب نُضار كل غصن على الردى يثنتى  
جث بعضها يموج ببعض سافنات وجه الأباطح سفنا

## - ١١ -

أما شاعر دمشق الأستاذ أنور العطار فله في فلسطين ومأساتها  
شعر يلتب عاطفة وأشواقاً، فهو يناجي الربوع المقدسة نجوى محب  
هائم له في جنباتها ذكريات عامرة بالحنين، وهو يبكي مصرع البلد  
الشهيد بكاء الحزين الواله<sup>(١)</sup> :

فلسطين يا دنيا الهناء والحُب ويامهبط الإلهام والحلم العذب  
عليك سلامُ العرب يندى مواجعاً ويشرب دمع العين غرباً إلى غرب  
تطوف بك الذكرى ويهفوك الهوى

كأنني منك الجسم خلواً من القلب  
بنفسي وأهلي وهداهـا وهضابها فيامهجت ذوبي على الوهد والهضب  
حننا إليها وهي ملء ضلوعنا كأنّ رؤاها عن تباريحنا تنفي  
ديار الهوى لازلت مخضرة المنى ترف على مغناك فيناة العشب

(١) - قصيدة (فلسطين) له - مجلة (المسامون): المجلد ٥ العدد ٧ ص ٦٥-٦٧

وقد تفضّل الشاعر فأعارني المخطوطة الأخيرة المنقحة للقصيدة .

أراك بعين الحب طيفاً مجسداً يقاسمني كرنياً ويغفر لي ذنبي  
فهل لفنا الماضي خيالاً على المدى وآفنا كالهذب يعلق بالهذب  
أيا روضة الأحباب لولاك ما ارتوت جفوني ولا روتك بالهاطل الصب  
خيالك في عيني وذكراك في فمي وبيني منك ما يغري المحب وما يصي  
وما ذكرتك النفس إلا تولت وهيمها برح فبات بلا أب

فيالك ذكرى ملؤها الوجد والأسى مضرجة الأعطاف بالنوح والندب  
دهتك من الدنيا كوارث جمّة وألقت بك الولايات في مزلق صعب  
وما غير الأيام مهما تفاقمت بأعظم مما ذقت من فادح الخطب  
أغدو مطافُ المجد نهياً مقسماً ولا تغضب العرباء للنهب والسلب  
وكانت إذا نابت دياراً أذية تفجرت الأرواح بالسمر والقضب  
حنانك ربي ما يعرب لم تُفق وما خلقت إلا من الشب والهب  
فما بالها إن هاجها البغي لم تهج وإن قرعت بالسب أغضت على السب  
أحقاً توانت عن منازلة العدا

أصدقاً، وليت الصدق ضرب الكذب

وهل غضب العادي ديار أحبتي  
وقرت نفوس العرب طوعاً على الغضب

أطل وقفة في الدار والثم تراها فمن حقها أن تلصق الحذاء بالتراب

وناج دماءً أهرقت في رحابها وسلسل لها وجدى وصور لها حي  
 وقل يادياراً مضتها لالعجُ الأسى وأسلمها الباغي إلى الهم والكرب  
 أيا طول كربي إن خلصت إلى العدا ولم ترجعي بإدارة العرب للعرب  
 فقد ينجلي الليل الطويل عن السنا وتزدهر الأعواد في المهمة الجذب  
 ويرجع وجه السلم جذلان ناضراً

بحربٍ تلف الأرض بالطعن والضرب  
 إذ لم يكن في السلم خير ونعمة فما الخير إلا في ممارسة الحرب  
 وقد كان لحصار الجيش المصري في الفالوجة ، وموقف الجيوش  
 العربية الأخرى المخزي منه صدى أسف ولوعة في العالم العربي، وهذا  
 صوت الأستاذ العطار يلوم العرب على هذا التخاذل عام ١٩٤٩<sup>(١)</sup> :

يا ثاراتِ يعربِ أين منا من يُلي النداء يوم اللقاء  
 أيخوض القتال جيش وحيد وجيوش العرباء كالرقباء  
 ليس كالحلف في اشتجار العوالي واصطدام الأرزاء بالأرزاء  
 ليس نحيا في جفوة وخصام لا يصون الوفاء غير الوفاء  
 لا يعيش الحمى على عنف الكر هـ ولا يُبتنى على البغضاء  
 بالدم العربي تُرعى فلسطين ن وتروى الرمال في سيناء  
 فلنخض عثير الجهاد لننقى مالنا غير خوضه من نقاء

(١) - من قصيدة للشاعر في تكريم ايليا أبي ماضي سنة ١٩٤٩ .

لقد استأثرت خيام اللاجئين بأكبر نصيب من شعر النكبة ،  
وغدت الخيمة السوداء رمزاً كريهاً للنكبة ، وهذه صورة رهيبة  
لـ «خيمة البهتان» كما سميها الشاعر المصري المبدع الكبير الأستاذ محمود حسن  
اسماعيل ، التقطها عام ١٩٥٢ « للاجئ » من عرب فلسطين الأحرار ،  
يستصرخ أخاه العربي من وراء خيمته ، وقد هبت عليها أعاصير الشتاء ،  
فراح بين السيل والويل يستثير جذوة النضال العربي في صدور  
الأحرار ، ضد غدر السياسية ولؤم الاستعمار»<sup>(١)</sup> :

أخي .. قد مزقت ريحُ الدجى بيتي وأيامي  
وساقتني على الأرضِ بهذا الهيكل الدامي  
وهذا الشبح المطرود في هذا الأسى الطامي  
يُنَادِي : أين مُلْكُ الله تحبَط فيه أقدامي  
وأين الأرض تحمِلني وتدفن بعض آلامي  
وبعض خطاي في هذا الدجى المتضجر الهامي ..

هنا في كُبوَّة الأقدار بين السيل والويلِ

(١) - ديوان « نار وأصفاد » ص ٨١ - ٨٢ .

وبين عواء شيطان طريدِ الجنِّ محتل  
يقعقع للرعود السود مأخوذاً من الهولِ  
سمعتُ فحيح ثعبان على رثيٍّ منسلٍ  
تدفق جسمه المقرورُ بين حفائر السُلِ  
وبين شتاء بستانٍ بدفء الموت مخضلِ

هنا في خيمة البهتان والطغيان والزورِ  
لدى مأوى كلحد الميت في النسيان محفورِ  
رُميت كدعوةٍ وقفت على درب المقاديرِ  
يصب التيه في خلدي خطا الظلمات في النورِ  
فأشربُ حيرتي وبُكايٍ من كف الأعاصيرِ  
وأذرفُ أدمعي الخرساء في صمتِ الدياجيرِ !

أخي .. قد غال ذئبُ الجوع أطفالي مع الفجرِ  
وبعثرهم جنون السيل بين مداخل الصخرِ  
فلا أدري لهم شجناً على نعشٍ ولا قبرِ  
كما كانوا هنا .. عادوا بلا سكنٍ ولا عمرِ  
ظلمتُ أنوحُ يارباه ! بعض نذاك للجمر ..  
فجاء الموتُ يفغر فاه للظلماتِ والقفورِ !

سلوهم .. واسألوا ما شئتمُ الاسلام والعربا  
وكيف على تراب الذل لم يتمزقوا غضبا  
وكيف غدت فلسطين بهم تتجرع الذوبا  
تنوح على سلاسلها وتشكو القيد واللبا  
وهم لمذابح الطغيان ساقوا اللهو واللعبا  
وقالوا : الشرق اقلت : صحا على أفواهكم كذبا ..

### - ١٣ -

كان شاعر الدور الأول من النكبة إبراهيم طوقان ينفخ روح  
المقاومة والجهاد في نفوس مواطنيه في فلسطين ، وقد أحس في سنة  
١٩٢٨ بما تسرب إلى الروح الوطنية العربية من وهن وتشاؤم ، فأرسل  
هذه الصرخة المتفائلة <sup>(١)</sup> :

كفكف دموعك ليس ينفعك البكاء ولا العويل  
وانهض ولا تشك الزمان ، فاشكا إلا الكسول  
واسلك بهمة تك السيل ، ولا تقل كيف السيل  
ماضل ذو أمل سعى يوماً وحكمته الدليل

---

(١) - ديوان ابراهيم : ص ٤٦ - ٥٠

كلاً ، ولا خاب امرؤ يوماً ، ومقصده نبيلٌ

أفريت يامسكين عمرك بالتأوه والحزنُ  
وقعدت مكتوف اليدين تقول : حاربني الزمنُ  
مالم تقم بالعبء أنت ، فمن يقومُ به إذن !

. . .

كم قلت : «أمراض البلاد» وأنت من أمراضها  
والشؤم علّتها فهل قششت عن أعراضها  
يامن حملت الفأس تهدمها على أنقاضها  
أقعد فما أنت الذي يسعى إلى إنهاضها  
وانظر بعينيك الذئاب تعبُ من أحواضها

وطن يُباعُ ويُشترى      وتصيح «فليحي الوطن» !  
لو كنت تبغي خيره      لبذلت من دمك الثمنُ  
وأقمت تضمد جرحه      لو كنت من أهل الفطن

. . .

أضحى التشاؤم في حديثك بالغريزة والسليقه  
مثل الغراب نعى الديار      وأسمع الدنيا نعيه



تلك الحقيقةُ والمريضُ القلبِ تجرحه الحقيقةُ  
أمل يلوح بريقه ، فاستهدِ يا هذا بريقه  
ماضاق عيشك لو سعت له ، ولو لم تشك ضيقه

لكن توهمت السقام ، فأسقم الوهم البدنُ  
وظننت أنك قد وهنت فذب في العظم الوهن  
والمرءُ يرهبه الردى مادام ينظر للكفن

. . .

حي الشباب وقل سلاماً إنكم أملُ الغدِ  
صحت عزائمكم على دفع الأثيم المعتدي  
واللهُ مدٌّ لكم يداً تعلو على أقوى يدِ  
وطني أزف لك الشباب كأنه الزهر الندي  
لأبدٍ من ثمر له يوماً وإن لم يعقدِ

ريحاً نه العلم الصحيحُ ، وروحه الخلقُ الحسنُ  
وطني ، وإن القلب يا وطني يحبك مرتين  
لا يطمئن ؛ فإن ظفرت بما يُريد لك اطمأن

ولكن دون تفاؤل ابراهيم طوقان تلك العصابة من الزعماء

الذين ابتليت فلسطين بهم<sup>(١)</sup> :

قد سقى الأرض بائعوها بكاء لعنتهم سهوها ورباها  
وطني مبتلى بعصبة ( دلاء لين ) لا يتقون فيه الله  
في ثياب تُريك عزاً ولكن حشوها الذل والرياء سداها  
حسبوا في الرجال هل كانت الأنعام إلا لمثلهم أشباها !

يارجال البلاد يا قادة الأمة ماذا دهاكم ودهاها  
صكّت الألسنُ المسامعَ حتى لقيت من ضجيجكم ما كفهاها  
عرف الناس والمنابر والأقلام أفضالكم فهاثوا سواها  
كلّكم بارع بليغ — بحمد الله — طبّ بجاننا ودواها  
غير أن المريض يرقب منكم هذه الجرعة التي لا يراها  
كان أولى بكم لو أن مع القوم فعلاً محمودة عقباها

رحم الله مخلصاً لبلادنا ساوموه الدنيا بها فأباها  
لو أتوه بالتبر وزن ثراها لأباه وقال : أفدي ثراها  
أنفروا أيها النيام فهذا يوم لا ينفع العيون كراها  
لاست أمة دهتها خطوب أرهقتها ولا يثور فتاها

وهذه أخت ابراهيم ، الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، تقول في قصيدة أسمتها « بعد الكارثة »<sup>(١)</sup> :

يا وطني ، مالك يخني على	روحك معنى الموت ، معنى العدم
أمضك الجرح الذي خانك	أساتك في المأزق المحتدم
جرحك ، ما أعماق أغواره	كم يتنزي تحت ناب الألم
أين الألى استصرختهم صارعاً	تحسبهم ذراك والمعتم
ما بالهم قد حال من دونهم	ودون مأساتك حس أصم
قلبت فيهم طرف مستنجد	فعزك المندفع المقتحم
واخجلت أحتام أهواؤهم	تغرقهم في لجأ الملتطم
هم الأنايون .. قد أغلقوا	قلوبهم دون البلاء الملم
لا روح يستنهض من عزهم	لا نخوة تحفزهم ، لا همم !
أحنوا رقاب الذل ، يضاعفهم	واستسلموا للقادر المحتكم

ستجلي الغمرة يا موطني	ويمسح الفجر غواشي الظلم
والأمل الظامي مهما ذوى	لسوف يروى بليب ودم

(١) - وحدي مع الأيام : ص ١٢٧ - ١٢٨ .

لن يقعد الأحرار عن ثأرهم وفي دم الأحرار تغلي النقم  
وفي قصيدة فدوى طوقان التي تسميها « نداء الأرض » صورة  
شعرية رائعة لثورة الحنين في قلوب المشردين إلى الأرض السلية<sup>(١)</sup> :

تمثل أرضاً نمته وغذته من صدرها الثرّ شيخاً وطفلاً  
وكم نبضت تحت كفيه قلباً سخياً وفاضت عطاءً وبذلاً  
تمثل - وهو يلوب - انتفاض ثراها إذا ما الريح أهلاً  
وماج بعينه كنز السنابل يحضنه الحقل خيراً مطلاً  
ولاح له شجر البرتقال وهو يرفّ عيراً وظلاً

وهاجت به فكرةٌ كالعواصف لا تستقر  
تواكب تلك الطيوف تنسير تلك الصور :  
أثغصب أرضي ؟ أيسلب حقي وأبقى أنا  
حليفَ التشرّد أصحاب ذلة عاري هنا  
أبقى هنا لأموت غريباً بأرض غريبه  
أبقى ؟ ومن قالها ؟ سأعود لأرضي الحبيبه  
بلى سأعود ، هناك سيُطوى كتاب حياتي  
سيخنو عليّ ثراها الكريم ويؤوي رفاقي

سأرجع لا بدّ من عودتي سأرجع مهما بدت محنتي

---

(١) - وجدتُها : ص ٨ - ١٩ .

وقصة عاري بغير نهاية سأنهي بنفسى هذى الرواية  
فلا بد ، لا بد من عودتى

وظل المشرّد عن أرضه يُتمتم : لا بد من عودتى  
وقد أطارق الرأس فى خيمته وأقفل روحاً على ظلمته  
وأغلق صدرأ على نقمته

وما زالت الفكرة الثابتة تدوم محمومة صامته  
وتعلي وتضرم فى رأسه وتلفح كالنار فى حسه  
سأرجع لا بد من عودتى

وفى ليلة من ليالى الربيع الدفيئة  
مشى ذاهل الخطو تحت النجوم المضيئة  
وراح يدور بأفق خواطره الشاردات  
يلاحقهن ويمعن بعداً مع الذكريات  
ويُبصر يافاً جمالاً يضيء على الشاطئ  
ويسمع غمغمة الموج فى بحرها الدافئ  
ويلمح بالوهم طيف القوارب والأشرعة  
تقبل وجه الصفاء فى الزرقة المترعة  
ومرّت على وجهه - وهو يحلم - نسمة

مضمخة بشذى البرتقال تعطر حمله  
وكانت كهمسٍ تحجب مصدره واستتر  
كهمسٍ من الغيب وافاه يحمل صوت القدر

وأوغل تحت ضياء النجوم يمشي ويمشي كمن يحلم  
وكان بعينه يرسم شيءٌ ثقيلٌ كالآله ، مظلم  
لقد كان يرسم سبع سنين انتظار طواها بصير ذليل  
تخدره عصبه المجرمين وترقده تحت حلم ثقيل

لقد كان يرسم سبع سنين طوال المدى عاشها في سؤال  
متى سأعود؟ وكان الجواب صمًا يمدُّ رهيبَ الظلال  
وما زال يمشي سليبَ الارادة تدفعه قوةٌ لا تُرد  
إلى أين؟ لم يدر ، كان الحنين نداءً ألحَّ به واستبد  
كأن من الأرض ، من أرضه تصاعد يدعوهُ صوتُ شرود  
يُجلجل في قلب أعماقه ويجذبه ما وراء (الحدود)  
هناك تناهت خطاه ، هناك تسمّر عند السياج العتيق  
هناك تيقظ وعياً رهيفاً وحساً عجيب التلقي دقيق  
وفي نفسه كان يزدحم الدمع والشوق والسورة المفعمه  
ورجع نداءً ملحٌ قوي وموجة عاطفة مبهمه  
ورائحه الأرض في قلبه مزيج حنانٍ ونفح شذي

وللصمت من حوله ألف معنى يعانق ألف شعورٍ خفيٍّ

وأهوى على أرضه في انفعال يشم ثراها  
يعانق أشجارها ويضمّ لآلي حصاها  
ومرغ كالطفل في صدرها الرحب خدّاً وفمّ  
وألقي على حضنها كلّ ثقل سنين الألم  
وهزّته أنفاسها وهي ترعش رعشة حب  
وأصغى إلى قلبها وهو يهمس همسة عتب !  
— رجعتَ إليّ ؟

— رجعتُ إليك وهذي يدي

سأبقى هنا ، سأموت هنا ، هيّتي مرقدتي  
وكانت عيون العدو اللثيم على خطوتين  
رمته بنظرة حقدٍ ونقمة  
كما يرشق المتوحش سهمه

ومزق جوف السكون المهيّب صدى طلقتين

. . . . .

بدا الفجر مرتعشاً بالندى      يذرذره في الربا والسفوح  
ومرّ بطيئاً الخطاف فوق أرضٍ      مضمةً بنجيع نفوح  
تلف ذراعين مشتاقين      على جسدٍ هامدٍ مستريح

أما شاعر النكبة أبو سامى ففي كل قصيدة من قصائده فيها حملة على الملوك والرؤساء العرب الذين خانوا أمانة فلسطين وأعانوا على تشريد شعبها . يقول في إحدى قصائده لواحد من أولئك الملوك <sup>(١)</sup> :

يا عارياً من ثياب المجد كيف ترى أرض الخلود قد ضلّت بك السبيلُ  
هذي فلسطين هل أشجكت تربتها تبكي الأحياء من غابوا ومن رحلوا  
وهل شجاك الدم المطلول تسفحه أيدي الجناة وقد عاهدت من قتلوا  
تبكي المروءات مرخاةً غداً ثراها وما انتخت للجهاد البيض والأسل  
تبكي العذارى وأذبالاً مطهرة لم يحم تلك الذبول الفارس البطل  
تبكي دويلات سوء سميت دولاً وخلف كل رداء يخفى هبل  
حرباً على الشعب ما زالت مضلة لا كانت الحرب بل لا كانت الدول

قال الملوك : غداً نحمي دياركم ليت الأذلاء ما قالوا وما فعلوا  
وعملونا بساح المجد تنزلها إذا بهم ساعة الجلى هم العلل  
قالوا : الكرامة ! قلنا أين صاحبها ؟ قالوا : الرجولة ، قلنا أيهم رجل ؟  
باعوا فلسطين فلتنهأ ضمائرهم أما تراها على (الدولار) تشتعل

---

(١) - أغنيات بلادي : ٨٥ - ٨٦ .



ويقول أبو سلمى في قصيدة أخرى (١) :

قالوا : الملوك ! وكيف أجملهم      هم شردوا أهلي وهم نكبوا  
شادوا القصور على جماجمهم      وعلى الدسائس حولنا دأبوا  
هل 'تعبد الأصنام في زمن،      تهوي به الأصنام والنصب  
يتستّر المستعمرون بهم      هل يستر التضليل والكذب  
لا يختفي استعمارهم ولهم      في كل قصر داعر، ذنب  
الشعب يعرف باسم من حكموا      ومن الذين وراءهم ركبوا  
ومن الذي بالمجد منتقب      ومن الذي بالعار ينتقب

قل للذين جنوا على وطني      ما بيننا الأيام والحب  
من قبلكم مرّ الطغاة بنا      هل تعثرون بهم ؟ لقد ذهبوا  
عصفت بهم نارٌ مقدسة      وإذا بهم لجهنم حطب

ويثور أبو سلمى على من يتهم الفلسطينيين بالتقصير في الحرب  
وحماية الوطن ، ويرد عليه معدداً تضحيات الشعب الفلسطيني العربي  
وجهاده (٢) :

قسماً بالسفوح إنا حملنا      يافلسطين في هوالك العذابا  
وإذا ما سألت عنا انتسبنا      وأيننا إلا إليك اتسابا

(١) - أغنيات بلادي : ص ١٠٥ - ١٠٦

(٢) - أغنيات بلادي : ص ١٢٥ - ١٢٨

ما بعدنا عن طيب أرضك إلا  
وزرعنا الأشواق في كل أرضٍ  
وافترقنا - وأنت في القلب - أعوا  
والتقينا على ملاعبك السم  
وسجدنا تقبلُ الحجر الأس

زادنا البعد من ثراك اقترابا  
ليتها أنبتت قنأ وحرابا  
مَ دهورٍ مذلةً واغترابا  
حقةً شيئاً بعد النوى وشبابا  
ودوالرمل والحصى والترابا

هذه دارنا فيا وحشة الدا  
لاتسل أين أهلها ، فالخيام الس  
حسبوا اللاجئين في كل قطر  
تاجروا باسمنا وباسم فلسطين  
ثم قالوا : خان البلاد بنوها  
نحن من نضر العروبة في الد  
هذه دارنا جبلنا ثراها  
إننا وحدنا فديننا حماها  
وسرى حبها مع الدم ناراً

ر إذا لم تستقبل الغيا  
ود شقت صدر الليالي انتحبا  
- وهم بين أهلهم - أغرابا  
ن فكانوا العداة والأصحابا  
كذبوا . . . إننا أعزّ جنابا  
يا فرفت على الورى أطيابا  
بالدم الحرّ فاستحال ملابا  
وحميناً حدودها أحقابا  
وبذلنا لها النفوس احتسابا

نحن من عطر الميادين أجا  
ونزعنا للظلم ظفراً فظفراً  
يوم كنّا نصارع البغي والعدو  
ورفعنا بيض الجباه صباحاً

دأ وأعيا المستعمرين طلابا  
وحطمنا للوحش ناباً فنا  
وان كانوا للأجنبي ذُنابى  
ورأينا جباههم أعتابا

هتفوا للوغى ولما التقينا      حاربونا وحالفوا الانتدابا  
ثم راحوا يدللون علينا      يوم صرنا بفضلهم أسلابا  
سجنوا اللاجئين لما رأوهم      لا يزالون يطلبون الحسابا  
ظلموهم، فكيف يُغفون يوماً      وفلسطين تقرر الأبوابا  
ويقول أيضاً في تمجيد نضال الشعب العربي الفلسطيني<sup>(١)</sup> :

هذه الحرية الحمراء ما      عرفت إلا فلسطين مراحا  
وتقلبنا على نيرانها      وصهرناها قلوباً وصفاحا  
رقص النور على ملعبها      والهوى غنى لها والسفح باحا  
بكت الأحرار في أوطانها      كيف لانبكي حمانا المستباحا  
شرّدوا أهلي وصحيي فعلى      كل دُوب شبح النكبة لاحا  
خيم الظلم على داراتهم      فكأن الظلم لا يبغي براحا  
عصف الليل بأنوارهم      وتوارى النجم والفجر أشاحا  
الحيام السود تبكيهم فهل      تسألون اليوم عن أهلي الرياحا  
دُمهم سال على كل ثرى      أترى يصبح ريحاناً وراحا  
خضبوا آماهم وانطلقوا      يلهبون الكون ثاراً وطماحا  
ناحت الأرض على أربابها      أين من يسمع من أرضي النواحا  
وعندما تمت الوحدة بين مصر وسورية ذكر أبو سلمى جراح

فلسطين وقد مرَّ على التقسيم عشر سنين<sup>(١)</sup> :

يارفاقي جبل النار دعانا	الهُوى هذا الذي هب هوانا
والنسيات التي مرّت بنا	حملت من أرض «حطين» شذانا
وعلى كل طريقٍ عبق	من صباننا وشُعاع من دمانا
وإذا ما لفظت أهلي الرّبا	هتفت من خَلَلِ الدمع ربّانا
أي سفح لم يسر فيه لظى	من فلسطين ولم يعرف سرّانا
أي شعب خفقت أعلامه	حرةً إلا على دامي خطانا

باسم أطفال بلادِي زحفوا	في الدروب الحمر ذلاً وهوانا
بالضحايا كتبوا تاريخنا	بالخيام السود تبكيهم زمانا
باسم أهلي في بقايا وطني	باسمهم في طرق البؤس حزانى
باسمهم في كل أرض مثلوا	شاهداً قد صبّه الظلم عيانا
واسمهم يهدر في شعري دماً	ودموعاً وسعيراً ودخانا
باسمهم 'نقسم' ألا نلتقي	في غدٍ إلا على طهر ثرانا

يا فلسطين مضت عشر وفي	كل يومٍ يسمع الدهر ندانا
وأيتنا واللظى يحرقنا	عرباً قلباً ووجهاً ولسانا

يا أحباي مضت عشر ولم تلثم الأترب المفدّى شفتانا

وشظايانا اللواتي وحدثت بين أهلينا ولم يبق سوانا  
لن تتم الوحدة الكبرى إذا لم يلح في الوحدة الكبرى حمانا

## - ١٦ -

ولشاعر النكبة يوسف الخطيب صرخات متمرده ، يثور فيها على  
استكانة الشعوب في الشرق وخضوعها الذليل للقوة <sup>(١)</sup> :

الرعاع المسكين في الشرق ينقا دأمام القوي كيف يشاء  
يستوي عنده المدجل والها دم ، ما نبتنيه والبناء  
يارياح الجحيم هي علينا والفحينا ، فإننا جبناء  
تشتكي الأرض من روائح قتلا نا عليها ، ويشمئز الهواء  
كل شبر والذل يصرخ فيه وسياط الغري والأشلاء  
كالقطيع الذي يساق إلى المذبوح رغماً وكله استخذاء  
كالقطيع الذي يساق مع الغر ب وطوراً يسوقه الزعماء  
أين « بترولنا » أنحرق فيه ليعيش الأسياد والأمراء  
أتمنى لو كنت عود ثقاب في حقول البترول يوماً يضاء  
أتمنى للشرق يغدو رماداً من لهبي وتُحرق الصحراء !

(١) - العيون الظماء للنور : ص ٤٢ - ٤٤

ويوسف الخطيب هو الذي يحكي لنا حكاية هذا اللاجئ :<sup>(١)</sup>  
 يقولون : كان فتى لاجئاً إلى خيمة في الرُّبَا مُشرعه  
 تُطل بعيداً وراء الحدود على الجنة الخصبة الممرعة  
 وكانت له ذكريات هناك مجنحة حلوة ممتعه  
 وملهى صبا شاعري الدروب وكوخ يطل على مزرعه  
 وكم أرقت ناظريه الطيوف وطيف الرقاد جفا مخدعه  
 يعيش على حلم أمس الذي تولى ويقسم أن يرجعه  
 يقولون : كان يرجي المات إلى يوم ثار ، إلى موقعه  
 وكان نداءً ، وكان نفيراً وأسلم لله ما أودعه  
 تقهّم هول الردى راسخاً كما يرتمي النسر في الزوبعة  
 فلو ضيغم مرّ من قربه تمنى لو أن له مصرعه  
 ويروون : لألمّ هاجه ولا الجرح في قلبه أوجعه  
 سوى أن عينيه قد غامتا وأسبلتا في الثرى أدمعه  
 أيكي على وطن ضائع قضى قبل أن يجتلي أربعه  
 أيكي حبيباً له في الخيام قبيل الرحيل ، وما أودعه !  
 يقولون : لما هوى مشخناً وشدّ على جرحه أضلعه  
 وأوشك يخبو السراج ، سوى ثواب ضباية مسرعه  
 تلفّت ملء الربا والوهاد يحدّق في وطن ضيعه

وأغرز كفيه في حفتي تراب ، تكونان ذكرى معه !

— ١٧ —

ولشاعر العودة هارون هاشم رشيد شعر كثير يموج بالحماسة والعزيمة والإيمان بالنصر والعودة<sup>(١)</sup> :

أخي في الخيمة السوداء في الكهف  
أخي في الجوع في التشريد في الخوف  
أخي في الحزن في الآلام في الضعف  
أخوك أنا برغم الظلم والإرهاق والعسف

أخي من نحن إن سرنا على الدنيا بلا وطن  
وإن عشنا على صدقات قاتلنا ، على المنن  
وإن جار على الأقداس عسف الظالم التنن  
وإن لم نتنفض للثأر رغم البؤس والمحن

أخي لن يغمض الجفن على حق ولا ثأر  
ولأن ترجع الأرض بغير الدم والنار

---

(١) - عودة الغرباء : ص ٨٠ - ٨١

هناك بوثة تعصف من دارك أو داري  
هناك غداً سنشعلها ونمحو لطفة العار

ولم يفقد شاعر العودة إيمانه بالثأر والنصر ، على الرغم من احتلال  
اليهود لمدينته المراقبة في خط النار (غزة) أثناء العدوان الثلاثي ،  
وفي قصيدته (أرفع يديك) يرسم الشاعر صورة رهيبة للعسف الصهيوني  
إبان الاحتلال ، فقد كان اليهود يوقفون الرجال والنساء في غزة رافعي  
الأيدي إلى الجدران ويطلقون عليهم النار<sup>(١)</sup> :

أرفع يديك ! وصوبوا ظلاماً بنادقهم إليّ  
أرفع يديك ! وكادَ—يا أقدار—أن يُغمى عليّ  
أرفع يديك ! وددتُ لو قطعوا يديّ

ووقفت في عينيّ نار واشتعال  
وشريط أحداث تمرّ وذكريات في اتصال  
بلدي يدنسه اليهود! أهذه عُقيّ النضال  
عُقيّ المراقبة الطويلة في الخنادق والتلال  
بعد الخيام الباليات وبعد أعوامٍ طوال !

واسودّت الدنيا وما زالت يدايَ إلى الجدار

---

(١) — غزة في خط النار : ص ٤٦ — ٤٨



والمجرمون يصوبون لنا بنادق الاحتقار  
وأنا وصحي في انتظار  
طلقات نار ... تمضي بنا .. طلقات نار

ومشوا ومازال الجدار ..  
باق يحدق في انتظار ..  
بركان نار .. ولهب نار ..

وعندما أعلنت الوحدة بين سورية ومصر كانت فرحة شاعر العودة  
طاغية وهو يرى جماهير اللاجئين تزحف من الخيام والكهوف تاركة  
بؤسها وآلامها ، لتغني نشيد الوحدة وتباركها<sup>(١)</sup> :

يا إخوتي المشردين في الظلام التائهين الضارين في القتام  
الهائمين في الدروب السابحين في الندوب  
ألا ابشروا .. ألا ابشروا بالعودة وهللوا وكبروا للوحدة  
يا إخوتي

يا إخوتي غداً ستنهال الحدود وسوف لا يكون في بلادنا يهود  
وسوف يشرق الضياء على مرابع الفداء  
فأبشروا واستبشروا بالعودة وهللوا وكبروا للوحدة  
يا إخوتي

---

(١) - أرض الثورات : ص ١٠٢ - ١٠٥

يا إخوتي في فرحة العمر التي تزورنا      قد أوردت وأينعت واستبشرت صدورنا  
بعد السنين العابسات      بعد الليالي الحالكات  
فأبشروا واستبشروا بالعودة      وهللوا وكمّبروا للوحدة  
يا إخوتي

## — ١٨ —

ومن الشعراء الذي وقفوا شعرهم على العودة الشاعر علي هاشم  
رشيد شقيق الشاعر هارون هاشم رشيد ، وفي ديوانه ( أغاني العودة )  
نجد تلك الروح المتوثبة المشتعلة شوقاً إلى الوطن المغضوب ، وها  
هو ذا صوته يهز النيام ويدعوهم إلى المعركة<sup>(١)</sup> :

أخي والرياح تهز الخيام      أخي والجباه كساها الرغام  
أخي والظلام تلاه الظلام      ألا فاسمعوا صرختي يانيام  
إلام المنام إلام المنام !

أخي هزنا الشوق للموطن      ونحن نعيش بلا مسكن  
تحامل على جسمك المثخن      تقدم تقدم ولا تنس  
وصح يانيام إلام المنام !

---

(١) — أغاني العودة : ص ٢٧ — ٣٠

أخي لا يرُعك عواء الذئاب      فهل يرهب الليث نباح الكلاب  
أخي وليكن لك ظفرٌ ونابٌ      وجالد به وقع تلك الحراب  
إذا ما سمعت إلام المنام !

أخي إن صَلَّاتِكَ رمال الفلاة      تذكر فلسطين مهد الأباء  
ووجه إليها قيل الصلاة      صلاة تطهر تلك الجباه  
وقل يا بلادي إليك السلام

فلسطين إنك روح ودم      فلسطين إنك نباح الشمم  
عرفنا بأرضك طعم الكرم      فلن نخفر اليوم تلك الذمم  
فإن الكريم يعاف الملام

## - ١٩ -

أما عيسى الناعوري فهو من شعراء النكبة الذين بكوا مأساة  
بلادهم بفورة ملتاعة من دم قلوبهم ، وصبوا في قصائدهم لبيب النغمة  
والثورة في أعقاب الكارثة ، وهذه « صرخة أسي » مريرة يرسلها  
الناعوري بعد الهدنة عام ١٩٤٩<sup>(١)</sup> :  
سقطت يضرجهما النجيع على الثرى ومضت كحلم كان في الأحلام

---

(١) - أناشيدي . ص ٦٥ - ٦٨

وتمزقت بيد الحياة والخنا أعلامها الغراء وهي دوامي  
وتفرقت عنها الصحابُ وأغمدت فيها السيوف وهن بعد ظوامي  
أعراسها انقلبت ما تم مرة دميت بهن حناجر الأيام  
وقباها . . . لله ما لقباها عاد الشموخ بها ذليل الهام  
صوت الأذان أبح والأجراس ما عادت ترن كعهدها من عام  
ضاعت فلسطين الشبيدة وانطوت واحسرتها لعدها البسام  
قد سلمتها لليهود عصاة رعدية برئت من الاسلام  
عاث الغريب بها وشرّد أهلها فتفرقوا في الأرض كالأغنام  
يا للمذلة ! لم يعد في أمتي رجل لأعراض العروبة حام  
وفي عام ١٩٥٣ كانت نقمة الشاعر لا تزال مستعرة ، فإذا سمع من  
حوله يتحدثون عن وعي الشعب العربي وتأهبه للنار والعودة ، أرسل  
صوته الساخر من أحلامهم <sup>(١)</sup> :

حلم ! وما أكثر أحلامنا سئمت من تكرار أمثاله  
حلم لقاء المجد من بعدما وقع شعبي صكّ إذلاله  
في ساحة كان لنا نصرها فحولوه للعدا صاغرين  
وغادروا الساحة لا عودة تُرجى ، ولا ثأر ، ولا هم يحزنون  
دعني من الأحلام يا صاحبي وأمل الثارات والنصر

فليس في قومي ذو عزةٍ      تدفعه العزةُ للشارِ  
قادتنا ثاراتهم بينهم      ليس لهم عند العدا ثارُ  
فإن دعا المجد لساحاة      كلهم يوم الوغى العارُ

هم كلهم أذئاب مستعمر      عباد كرسى ودولارِ  
من أجلم ضحوا بأوطاننا      وشرّدوا أمة أحرارِ  
سادةٌ ذلٍ طالما صفقت      أكفنا مكبرةً ذلهم  
باعوا إلى الشيطان أرواحهم      ونحن بعنا نبلنا قبلهم

نحن ! ومن نحن ! سوامٌ فما      ندرك معنى العزة السامية  
نثغو لراعينا وجزّارنا      بنعمة واحدة راضيه  
الوعى، وعى الشعب كذب فما      في شعبنا وعى وأحرارُ  
نمجد الطاغى ونعنو إذا      ما ساقنا للذل سمسارُ

سنة أعوامٍ تقضت على      مأساتنا الكبرى وتشريدنا  
لا اللدّ والرمة قد عادت      لتسمعا وقع أغاريدنا  
ولا ضواحي القدس عادت لنا      والكرمل العالى وعكاءُ  
وشط يافا لم يعد عهده      فما يحيننا به الماءُ

خيامنا تملأ رحب الفضاء      وقوتنا لقمة إحسانِ  
أذلةٌ نحن ، وأوطاننا      يمرح فيها خصمنا الجاني

دعني من الأحلام يا صاحبي وأمل العودة للدار  
ما دام يرعى أمرنا قادة تعشق قيد الذل والعار

— ٢٠ —

وحسن البحيري من الشعراء الذين عاصروا النكبة في دورها ،  
وقالوا في كل حدث من أحداثها ، وها هو ذا قبل التقسيم يعاهد تربة  
فلسطين أن يسقيها من دماثة<sup>(١)</sup> :

أيا وطني ، والعلام من أسي إذا ذكروك لها تطرق  
ترابك .. هذا التراب الطهور وفي روحه عطشٌ مرهق  
سأسقيه من نفثات اللهب وفيض الدماء حياً يُغدق  
لأنبت حريتي في ثراك وأجعل أدواحها تُورق  
فتزهر فيك غصون السلام وييسم في ظلها الزنبق  
فلما تمّ التقسيم ودوت الرصاص في الأرض المقدسة انطلق صوت  
الشاعر يهيب بكل عربي أن يخوض المعركة :

أخي اسمع نداءً لهيف الصدى ترامى على خطرات المدى  
فكاد يهز روائي الجبال وقد مسها مغوراً منجداً

---

(١) - المختارات من شعر البحيري نقلتها من مخطوطاته التي تفضل مشكوراً

بإعازتي إليها .

هو الغوث من أسبق القبليتين  
فقم بالسلاح نسر للكفاح  
لنا النصر لا لفلول العدا  
فنحن بني العرب من أمة  
ونحن على ذروة الحاققين

أخي قبلة القدس لو أنصفت  
وطفنا بصخرتها كالحطيم  
فأفاقها أطلعت في الزمان  
وتربتها أنبت للأنام  
فلسطين في الدهر أم الجهاد  
ولولا بنوها لنام الكفاح  
فهم أيقظوا الشرق من غفوة  
وهم جمعوا العرب في وحدة

أخي قم بنا مثل حد الحسام  
قتل أيب لنا موعد  
فهب كليث الشرى واثباً  
ألا امض بنا مثل نسر السحاب  
على طائرات تروع النجوم

دعاني وإياك مستنجدا  
فأكرم بساح الوغى موردا  
ضمناً له يومنا والغدا  
مؤتلة في العلا محتدا  
وطئنا بأقدامنا الفرقدا

لرحنا لها ركعاً سجداً  
لنستلم الحجر الأسعدا  
بدور التقى وشموس الهدى  
فروع الجدا وأصول الندى  
وبنت الجلاذ وأخت الفدا  
وما مد يوماً لنصر يدا  
مضى في كراها مدى سرمدا  
تلم من الشمل ما بُددا

إذا هو من غمده جردا  
ولن نرتضي غيرها موعدا  
فلم يبق فينا لصبر شدا  
وحوت العباب وريح الودى  
وفى دارعات تخيف الردى

لنهدمها حجرة حجرةً وتركها صفصفاً فدفدا . .  
فلما انتهت المسرحية الحربية بما شاءت لها الحياة أن تنتهي صرخ  
الشاعر من أعماق فؤاده :

إلهي زُلزل الحقّ وناء فؤاده المُجهدُ  
وكادت ناره تجبو ، وكادت ريحه تتمد  
وكادت كفّ اسرائيل تمحو ما بنى أحمد  
فإن لم يُصرع الباطل إزهاقاً ولم يُلحد  
وظل البغي في دنياك ينضو سيفه المغمّد  
فبعد اليوم لن تُرجى ، وبعد اليوم لن تُقصد  
وبعد اليوم لن تُخشى ، وبعد اليوم لن تُعبد  
وبعد اليوم لن يُركع إسلاماً ولن يُسجد !

والشاعر البحيري هو اليوم « لاجئ » في دمشق ، يتابع إنشاد  
ألحانه الباكية على وطنه السليب ، فإذا ثار في قلبه الحنين إلى دياره  
صوره في مثل هذه المناجاة الهامسة بين حمامتين :

سألت ذات حنين أختها والدجى يعقد أجفان الوسن  
وصدى النجوى على أفق الربا يزفر اللفه في ليل الشجن :  
أخت ماسر الشذى من زنبق حير الأدمع في جفن الزمن  
فأجابتها بلحنٍ شارد رنّ فاهتزّ له عطف الفن :  
يا ابنة الأيكِ ويا أخت الشجى أرجُ الزنبق أنفاس الوطن !



وهذا محمود الحوت ، أحد شعراء النكبة ، يحن إلى يافا والمدن  
المغصوبة الأخرى ، ويشكو أحزانه إلى الله <sup>(١)</sup> :

يافا، لقد جفّ دمعي فاتحبت دماً	متى أراك وهل في العمر من أمدٍ
أمسي وأصبح، والذكرى مجددة	محمولةٌ في طوايا النفس للأبد
كيف الشقيقات! واشوقي لها مدناً	كأنها قطع من جنة الخلد
ما حالها اليوم يا يافا، وهل نعمت	من بعد أن سأمت أمساً يداً بيد
وكيف من قد تبقى في مراتبها	وقد تركناه فيها ترك مُلتحداً!
ما بال قلبي إذا ماسرت من بلدٍ	يصيح من وجدته في الصدر والبلدي
مهما استقام له من عيشة ورغدٍ	وجدته هازئاً بالعيشة الرغد
تعبت لكنني مازلت في تعبي	أشكو إلى الله لأشكو إلى أحد!

وفي عيني إحدى اللاجئات قرأ الشاعر الفلسطيني كمال ناصر أسطورة  
الضياع <sup>(٢)</sup> :

عيناك خيمتان ترويان أسطورة الضياع في الزمان

(١) - المهزلة العربية : ص ٣٠

(٢) - جراح نغني : ص ٦٨ - ٧٠

وتعمقان في دجى الحرمانِ    وتصلبان في ذرى المكان  
على أديم الهجر والنسيان !

عيناك خيمتان للعذاب    تطل منهما رؤى المصابِ  
جرمة التاريخ والأحقاب    وغفلة الأصحاب والأحباب  
في موكب النزال والغلابِ

عيناك خيمتان للصراعِ    مغموستان في دم الجياعِ  
لحن كئيب موحش الإيقاع    تعزفه قيثارة الأوجاعِ  
تروي لنا أسطورة الضياعِ

وأنت يا صاحبة العيونِ    في غمرة الأشجان إن تكوني  
لاجئة .. ظلي على يقيني    يالجنة سوداء في جيني  
ودمعة للحقد في جفوني    الخيمتان بعض ما يشقيني  
في وجهك المؤرق الحزينِ    إذ تصرخان للربا : ارجعوني  
للشاطئ المعذب الطعين    الحلم شاخ على ظنوني !!

- ٢٣ -

وللشاعرة الفلسطينية المجددة سلمى الخضراء الجيوسي قصيدة  
أسمتها « الشهيد المهجور » رسمت فيها صورة رهيبة للقبر الكبير فوق  
تل قرية (دير ياسين) الذي دُفن فيه القتلى دفناً جماعياً ، بعد أن ذبح

اليهود أهل القرية سنة ١٩٤٧ في مجزرة وحشية لم ينج منها  
إلا القليلون<sup>(١)</sup> :

رعته الشمسُ والأنداءُ وارتاحت على كبرِ بقاياهُ  
وثامت دون يوم الحزن عيناهُ  
وكنّا يوم بعناهُ  
— لريح الغرب تلفح رأسه العاري  
لو قد الشمس تحرقه  
وتغرقه

بموج لهيبها الناري  
لغربان السماء السود تدفن جوعها فيه  
لديدان الثرى القاسي تُعريهِ —  
فلول الجحفل الوهمي في صرح هدمناه

ألن ترتاح في قبرِ بقايا النائم العُريان؟  
بقايا الهيكل المهجور في الوديان  
في دوامة الأرياح ؟  
ألن ترتاح في قبرِ بقاياهُ  
لقد صُنّاه في أكفان ماضينا

---

(١) — العودة من النبع الحالم : ص ٦٨ - ٧٤ .

لقد بعناه : لا أجر ولا أرباح  
يوم تجارة الأرواح  
عكاظُ الروح عن دنياهُ يلينا

. . .

سرى من « حفرة القتل على تلٍ ثكلناه »  
نداءُ حام في الأجواءُ  
فوق مدافن الأحياء  
ينادينا

ينادي الموت ، ذاك السارق المعطاءُ  
أنت ينزح عن مرقى أمانينا  
فإنا قد بلوناهُ

رضعنا سكره النعسان  
وذقنا سمة الأصفر إذ ندى على الأجفان  
وإذ يغتال نجم الشوق غيلاً من ليالينا  
فياغول الليالي السود ، ياديجورها السكران  
رعاك الموت في واديه .. عرج دون وادينا !

. . .

تدوم لجة الأصداء تحت السمع والبصر  
تهزّ العدم المراثح في أرجوحة القدر

لتوقظ في حنايانا  
شموس الغيب والأنواء  
لتنشل روح موتانا  
من الغيوبة الصفراء  
وتنفض شوقنا ناراً وطوفانا  
برغم الموت .. والأغلال .. والسل  
لنحفر دربنا القاسي إلى « كهفِ على التَّلِّ »  
نلمَّ عظام موتانا !

— ٢٤ —

وللشاعرة السيدة عزيزة هارون هذه اللوحة التي تصور فيها أما  
( فلسطينية نازحة وولدها )<sup>(١)</sup> :

لا وحق الحب لن أخلف عهدا  
وحيني رفّ ريحاناً ووردا  
أنا للتأّر وللطفل المفدى  
فارسي في حومة الحرب تردّي  
إنه للغمرة الحمراء يُهدى

---

(١) — مجلة الآداب : العدد ٥ ، السنة ٤ ، مايو ١٩٥٦

ولدي بين اليتامى وغداً يشتد زندا  
قال يوماً لرفاق الصف : إني أتحدى !  
إن أمي صقلتني وأعدتني فرندا  
أنا للثأر ولن أخلف عهدا  
ألف بركان بقلي ليس يهدا  
إنما الظالم في الدار استبدا  
أنا لأعرف يافا بلدتي ، بالروح تُفدى  
إنها في قلب أمي عبت طيباً ونداً  
وهيام في مداه الطلق لا يعرف حدا  
وهي في مقلة أمي بحنان الحب تندى  
واجبي يأم بالروح يُودى  
عربي كأبي أقتحم الساحات فردا ..

## - ٢٥ -

عندما استغاثت فلسطين ودعا الداعي إلى الجهاد كان الشاعر  
الأستاذ عمر بهاء الأميري في جملة من لبوا النداء وانضموا إلى جيش  
الإنقاذ، ليردوا العدوان على الأرض المقدسة<sup>(١)</sup> :  
يا فلسطين ياتراث النبوة<sup>٢</sup> يا لسان المجد الأثيل المفوه<sup>٣</sup>

---

(١) - المختارات من شعر الأميري نقلتها من بعض دواوينه المخطوطة  
التي تكرر بإطلاعي عليها .

لا يضرك العدوان مهما تمادى      إن هذا العدوان مبعث قوّة  
أمة العرب في ركابك هبت      تلقم العاتي الزنيم عتوّه  
والأبابة الكمات تهتز ثاراً      كلما معرج الرسول تأوّه  
فافقشي البغي في عيون ذويه      سوف يحميك يعربي المروّه  
وقد أتبح للشاعر السوري المجاهد أن يشهد بعينه طرفاً من أهوال  
النكبة بعد انسحاب الجيش العربي الغادر وتشرد الفلسطينيين أمام  
زحف اليهود :

الشيخ القانون عضواً بقايا      من جراح الجهاد هاجت ضراما  
ورجال الكفاح ثاروا غضاباً      عزّلاً يطلبون موتاً زؤاما  
والصغار الباكون غصوا بمزج الد      م والدمع ثم ماتوا يتامى  
في فلسطين يالقومي رزايا      هل عمينا عن ذاك أم تتعامى  
والحكومات وهي سبع عجاف      قد أعدت للذود عنها .. كلاماً !

## - ٢٦ -

« قصة راشيل شوارزنبرغ » قصيدة جميلة للشاعر نزار قباني ،  
كتبها للأجيال المقبلة وأعلن فيها الثورة على الجيل الذي أسهم في  
ضياع فلسطين <sup>(١)</sup> :  
أكتب للصغار

---

(١) - قصائد من نزار قباني : ص ١٧٨ - ١٨٧

للغرب الصغار حيث يوجدون<sup>١</sup>  
لهم على اختلاف اللون والأعمار والعيون<sup>٢</sup>  
أكتب للذين سوف يولدون<sup>٣</sup>  
لهم أنا أكتب للصغار<sup>٤</sup>  
لأعينٍ يركض في أحداقها النهار<sup>٥</sup>  
أكتب باختصار<sup>٦</sup>  
قصة إرهابية مجنّده<sup>٧</sup>  
يدعوها « راشيل »  
قضت سنين الحرب في زنزاة منفردة<sup>٨</sup>  
كالجُرْد .. في زنزاة منفردة ..  
شيدها الألمان في براغ<sup>٩</sup>  
كان أبوها قذراً من أقذر اليهود ..  
يزور النقود ..  
وهي تدير منزلاً للفحش في براغ<sup>١٠</sup>  
يقصده الجنود ..  
وآلت الحرب إلى ختام<sup>١١</sup>  
وأعلن السلام<sup>١٢</sup>  
ووقع الكبار<sup>١٣</sup>  
أربعة يلقبون أنفسهم كبار<sup>١٤</sup>



صك وجود الأمم المتحدة  
.. وأبحرت من شرق أوروبا مع الصباح  
سفينة تلغنها الرياح  
وجهتها الجنوب  
تغص بالجرذان والطاعون واليهود  
كانوا خليطاً من سقطة الشعوب  
من غرب بولندا ،  
من النمسا ،  
من استمبول .. من براغ  
من آخر الأرض .. من السعير  
جاءوا إلى موطننا الصغير  
موطننا المسالم الصغير  
فلطخوا ترابنا  
وأعدموا نساءنا  
ويتموا أطفالنا  
ولا تزال الأمم المتحدة ..  
ولم يزل ميثاقها الخطير  
يبحث في حرية الشعوب  
وحق تقرير المصير

والمثل المجرته ..

فليذكر الصغار

العرب الصغار حيث يوجدون

من ولدوا منهم ومن سيولدون

قصة إرهابية مجنده

يدعوها « راشيل »

حات محل أمي الممددة

في أرض يبارتنا الخضراء في الخليل

أمي أنا الذبيحة المستشهد

وليذكر الصغار

حكاية الأرض التي ضيعها الكبار

والأمم المتحدة ..

....

أكتب للصغار

قصة بشر السبع ، والطورون ، والجليل

وأختي القليل

هناك ، في يبارة الليمون ، أختي القليل

هل يذكر الليمون في الرملة ، في اللد ، وفي الخليل

أختي التي علقها اليهود في الأصيل

من شعرها الطويل  
أختي أنا نُوارُ ..  
أختي أنا الهتيكة الإزارُ ..  
على رُبا الرملة والجليل  
أختي التي ما زال جرحها الطليل  
ما زال بانتظار  
نهارَ ثارٍ واحدٍ ، نهارَ ثارٍ  
على يد الصغار  
جيلٍ فدائي من الصغار  
يعرفُ عن نُوارٍ ..  
وشعرها الطويل ..  
وقبرها الضائع في القفار ..  
أكثرَ مما يعرف الكبار !

....

أكتب للصغار  
أكتبُ عن يافا وعن مرفئها القديم  
عن بقعةٍ غاليةٍ الحجارُ  
يضيء برتقالها كنخيمة النجوم  
تضم قبر والدي وإخوتي الصغار

هل تعرفون والدي وإخوتي الصغار ؟  
إذ كان في يافا لنا حديقة ودار ..

يلفها النعيم

وكان والدي الرحيم

مزارعاً شيخاً ، يحب الشمس والتراب

والله .. والزيتون والكروم ..

كان يحب زوجه

وبيته

والشجرَ المثقلَ بالنجوم

.. وجاء أغرابٌ مع الغياب

من شرق أوربا .. ومن غياهب السجون

جاءوا كفوجٍ جائعٍ من الذئاب

فأتلفوا الثمار

وكسروا الغصون

وأشعلوا النيران في بيادر النجوم

والحسنةُ الأطفالُ في وجوم

والليلُ في وجوم

واشتعلت في والدي كرامةُ التراب

فصاح فيهم : اذهبوا إلى الجحيم

لن تسلبوا أرضي يا سلالة الكلاب !  
.. ومات والدي الرحيم  
بطلقة سددها كلب من الكلاب  
عليه ، مات والدي العظيم  
في الموطن العظيم  
وكفه مشدودة شداً إلى التراب  
فليذكر الصغار  
العرب الصغار حيث يوجدون  
من ولدوا منهم ومن سيولدون  
ما قيمة التراب  
لأن في انتظارهم  
معركة التراب ! ..

## - ٢٧ -

للشاعر المهندس على محمود طه قصيدة حماسية يهيب فيها بكل فتى  
عربي أن يحمل السلاح ويخوض المعركة لإنقاذ الأرض المقدسة<sup>(١)</sup> :  
أخي جاوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدى

---

(١) - الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث : ص ١٠٣ - ١٠٤

أتركهم يغصوب العروب	ة مجد الأبوة والسوددا
وليسوا بغير صليل السيوف	يجيون صوتاً لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده	فليس له بعد أن يُغمدا
أخي أيها العربي الأبي	أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخي أقبل الشرق في أمة	تردّ الضلال وتحيي الهدى
أخي إن في القدس اختاً لنا	أعد لها الذابجون المدى
صبرنا على غدرهم قادرين	وكنّا لهم قدراً مرصدا
طلعنا عليهم طلوع المنون	فطاروا هباءً وطاروا سُدى
أخي قم إلى قبلة المشرقين	لنحمي الكنيسة والمسجدا
يسوع الشهيد على أرضها	يعانق في جيشه أحدا
أخي إن جرى في ثراها دمي	وأطبقتُ فوق حصاها اليدا
ففتش على مهجة حرة	أبت أن يمر عليها العدا
وقبل شهيداً على أرضها	دعا باسمها الله واستشهدا
فلسطين يفدي حماك الشباب	وجل الفدائي والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور	فأما الحياة وإمّا الردى

—٢٨—

ولدتكتور أحمد زكي أبي شادي قصيدة سماها ( اللاجئون ) تحدث

فيها عام ١٩٤٩ عن نكبة المشردين ودعا العرب إلى بذل التضحيات لهم<sup>(١)</sup> :  
 خرس فن عن ويلهم يتكلم ؟ ومعذبون لهم تقام جهنم  
 جنت السياسة مثما جنت الوغى والظالمون الغاشمون عليهم  
 وتشردوا لا يملكون وجودهم لو كان يملك الوجود المبهم  
 ضاعت معاقبهم ، وضاعت قبلها أمم ، وهان معزز ومنعم  
 ليس المقام مقام لوم شامل ولعل أول من يلام اللوم  
 إن المقام مقام نبل سابغ حتى يغاث من الفناء المعدم  
 إن المصيبة لا مثل لوزنها فيما روى التاريخ أو ما يعلم  
 والناس .. ما للناس لم يتأثروا والأهل .. ما للأهل لم يتندموا  
 إن الكوارث مفصحات حولهم تتطلب الإنجاد حين تلغشوا  
 هذا أو ان التضحيات فما لهم ضنوا بأوهى الواجبات وأحجموا  
 المال مهما جل ليس ضريبة تؤبى إذا ما هان للحر الدم  
 وإذا تخاذلت الشعوب وأنكرت من هم عماد حياتها لو تفهم  
 فمن المحال لها ، وذلك حالها بعث ، ولو عاد النبي الملمم !

## - ٢٩ -

وللشاعر المهجري الكبير رشيد سليم الخوري « الشاعر القروي »

(١) - من السماء : ص ١٥٤

قصيدة طويلة يسخر فيها من وعد بلفور ويدعو العرب إلى الاستعداد  
للمعركة ، تقتطف منها<sup>(١)</sup> :

الحق منك ومن وعودك أكبر	فاحسب حساب الحق بامتجبر
تعد الوعود وتقتضي إنجازها	مهيج العباد خست يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن	من جيب غيرك محسناً يا بلفر
تجني على وطن المسيح مدّماً	وتزيغ أنك في البلاد معمر
هنا عليك لطيفة عربية	خلناك مبتسماً وأنت مكشّر
يا عرب والتارات قد خلقت لكم	اليوم تفتخر العلاء أن تثاروا
يدعوك شعبك يا صلاح الدين قم	تأبى المروءة أن تنام ويسهروا
نسي الصليبيون ما علمتهم	قبل الرحيل فعُد إليهم يذكروا
ريكاردس أدرى بسيفك منهم	فليسألوه لعله لا ينكروا

وعندما احتفلت جمعية الشبيبة العربية الفلسطينية في سان باولو عام

١٩٣٥ بذكرى بعض شهداء فلسطين أشد الشاعر القروي<sup>(٢)</sup> :

ما لهذا الشرق لا يرح في	نكبات من علوج الغرب سود
أشهاداً علقوا أم جرساً	رن فاهتز له قلب الوجود
وسرت ألحانه مطربة	حول عرش الله أرواح الجدود
نحن قوم فتننا مثل	مالنفس الحر عنها من محيد

(١) — الأعاصير : ص ٧٢ - ٨١ .

(٢) — د : ص ١١٣ - ١١٤ .



كلما استشهد منا بطل هتف الأجداد أهلاً بالحفيد !  
وفي ثورة ١٩٣٩ تشد حملة الشاعر على الإرهاب الانكليزي في  
فلسطين ويعلن أن الغرب لا يفهم غير منطق القوة <sup>(١)</sup> :

من أخاديع فاسق	من إعرض الحقائق
نصف مليون سارق	سارق يدري به
للسلطان المنافق	في فلسطين آية
من ققام الحرائق	سُجلت في صحائف
فوهات البنادق	وتلتهن للورى
من حبال المشانق !	وروتهن ألسن
لم يقيم عذر واثق	بالثاماً بعدهم
كذبونا بصادق !	كلكم جد آفك
بأحب الطرائق	كم نشدنا سلامكم
للهليف المصادق	فأيتهم سوى الأذى
عَلَّقتُ بالمناطق	منطق الغرب في التي
الدوافق كالسيول	فأملأوا الجو وازحفوا
اللقائق لاصطياد	البواريد سُددت
الغرائق بالأديب	قد صرعنا شقيكم
المراهق بالغلام	وقهرنا كميكم

وعندما هام الفلسطينيون على وجوههم متشردين وخائفوا فلسطين  
الشهيدة ليسكنها لصوص الشعوب أحس الشاعر أحمد فهمي أن الأرض  
قد زلزلت زلزالها<sup>(١)</sup> :

و زلزلت الأرض زلزالها	وأخرجت الأرض أثقالها ،
ولاحت على الأفق سحب الجلاء	تثير الحروب وأهوالها
وهامت على وجهها أمة	كأن نزاع الردى غالها
تشرّد أفرادها في البلاد	وراحوا ييثون أحوالها
وضمت فلسطين من بعد ذاك	لصوص الشعوب وأنذالها
ولكن الشاعر لا يفقد مع ذلك إيمانه بالثورة والنصر والعودة <sup>(٢)</sup> :	
حرام علينا لذيق الرقاد	إذا لم نبادر إلى الثورة
حرام علينا البقاء الكريم	ونحن نعيش على المنّة
حرام علينا الزلال القرا	ح مادام فينا أخو ذلّة
فلسطين شعبك مال الزمان	بآماله الحلوة الرحبة
وأجلّاه عن أرضه غاصب	لثيم المقاصد والنيّة
يسانده الغرب ذاك الذي	هو المصدر الفرد للنكبة

(١) — أحلام العودة : ص ٢١

(٢) — : ص ٤١ — ٤٣

فلسطين شعبك لما يزل يحن لطلعتك السمحة  
إلى البذل ، فالبذل باب النجاح وأجر الشهيد ربا الجنة !

### — ٣١ —

كلما أقبل اليوم الخامس عشر من أيار من كل سنة ثار اللاجئون  
وهاجت في نفوسهم ذكرى سوداء بغیضة ، وها هو ذا الشاعر أمين  
شزار يحكي لنا حكاية شهر أيار <sup>(١)</sup> :

هل تسمعين ؟

سرُّ بقلبي هذه النجوى

قد كنت أكتمه فلا أقوى

وكيف أكتم في في الشكوى ؟

كيف ارتحلت وعشت في بلوى ؟

ماذا دهي الشجرات والمأوى

حتى غدت نبأً لنا يروى ؟

أمي الحنون

قال الكبار : وكانت النكبة

قالوا : وكم بطل قضى نجه !

قالوا : وإن لنا غداً أوبه

« هل تذكرين »

صوتٌ يمزق هدأة الظلمة

ينساب بين دياجر الخيمة

قال الصغير مناجياً أمه :

« أمي الحنون !

ماذا - تراه - يشير أيارُ

في اللاجئين فإن أتى ثاروا

في وجهه وكأنه العارُ ؟

من أين نحن ؟ وهل لنا دارُ

— كانت لنا — ورباً وأزهارُ

وشاطىءٌ مرح وأطيار ؟

«مازلت أذكر أيها الطفل الحبيب»  
يوم الرحيل ..

والشمس تقذف باللهيب ،  
على الجباه ، ومن بعيد :  
الأفق يذخر بالنحيب ،  
والبوم ينق ، والوليد  
يدعو أباه ، ولا محيب  
ظمان ، والرجل الذليل ،  
والتائهون بلا دليل ،  
يحتاجهم قلقٌ شديد  
درب طويل ..

يفضي إلى بلد غريب !  
مازلت أذكر أيها الطفل الحبيب  
يافا ، وعهد هناتنا العذب الجميل  
أمس القريب ..

كانت تذهب بيتنا شمسُ الأصيل  
مازلت أذكر ذلك البيت السعيد !  
كم كنت أفرح طفلةً بين النخيل  
وفي الفضا عبق الخزامى والورود

هيا ! أعدّ قواك للوثبة  
كانوا ... كمن وهب الأسي قلبه  
كلّ يناشد ضارعاً ربّه !  
هل تذكرين؟

أماه عهد هناتنا السالف  
والبرتقال وظلّه الوارف ؟  
كم حدثوا ! أفصدق الواصف ؟  
أماه ما لفؤادك الواجف  
ينساب من خفقاته هاتف ؟  
ماذا وراء حينك اللاهف ؟  
ما تكتمين ؟

...

وانهأت العبرات كالنار  
تحتاج مسمعه كإعصار  
تروي حكاية شهر أيار !

...

أمّ تحدّق في دُجى الخيمة  
قلبٌ تفتح ملقياً همّة  
يحنو على أذنين في الظلمه :

...

« عبر القرون

حدّق ! فإن سناء ماضينا  
قد عاد يسطع في مآقينا  
يمحو الدياجر عن رواينا  
قد عاد يسكب في بوادينا  
لحن الإباء . . هنا ينادينا  
أنصت إليه مؤذناً فينا :  
يا حاثرون !

من للعرين ؟ وأهله الصيدُ  
هانوا ، وشتّتهم رعاديدُ  
عن أرضهم ، ولشدّ مانودوا  
في كل راية أغاريدُ  
تدعوهم ، وتردد البيدُ :  
هيا انهضوا وإلى الحمى عودوا ،

...

طفلٌ وأغنيةٌ وأزهارُ  
يا فابكت ، وتغنّت الدارُ  
عاد الصحابُ ! وعاد أيارُ !

يلقي السلام على الدوالي ، والحقول  
والطير تنثر شدوها الحلوالطروب ..  
والشط تنعشه نسيمات الغروب  
والبحر يعزف للرُّبأ أحلى نشيد !  
طفلي الحبيب ! :

يافا .. ونأيك عن رباها لن يطول  
مادمت تذكر عدها العذب الجميل !

...

« أمي الحنون »

لحن وعته مسامعُ الليل  
أغفى تهدده رؤى الذل  
والذكريات بمقلة الطفل  
شوق دفين

ما زال يلهب دمعه الجاري  
شوق إلى الشجرات والدار  
يحتاجه . . وحديث أيار  
ما زال يدفعه إلى الثار ،  
ناجاء طيف بلاده الساري  
في خيمة نبتت من العار :

ونختم هذه المنتخبات بقصيدة للشاعر سليمان العيسى يقص فيها قصة « رسالة مؤرقة » تلقاها « من لاجئة » في الخامس عشر من أيار سنة ١٩٦٠ ، وفيها تعبير حي عن القلق الذي بدأ يحتاج النفس العربية من جديد ، بعد أن طال انتظارها بزوغ الفجر الموعود<sup>(١)</sup> :

«عائدون ..

عائدون ..

إننا لعائدون .. »

هُدُرٌ يَضْجُ بِمَسْمَعِي وَنَدَاءُ	وُحْطَا تُجْرُ وَشَارِعُ وَضَاءُ
وَمَوَاكِبُ أَلْفِ الطَّرِيقُ ذَهَابُهَا	وَأَيَّابُهَا ، وَالرَّيْحُ وَالضُّوْضَاءُ
وَالهَاتِفُونَ حَنَاجِرَ بَيْسِ الْهَوَى	فِيهَا وَمَاتَ الْحُبُّ فِيهِ زُقَاءُ
كَالدُّوْحَةِ انْطَلَقَتْ تَمْدُ فُرُوعُهَا	فِي الْأَفْقِ ، حِينَ مَضَى يَجْفُ الْمَاءُ
هُدُرٌ يَضْجُ .. وَفِي فُؤَادِي هَدَاةُ	مَذْبُوحَةٌ ، وَسَكِينَةٌ بِلَهَاءِ
خَرَجُوا ، وَآثَرَتْ الْفَرَارُ بَعْزَلَتِي	فَالْبَيْتُ حَوْلِي وَحِشَّةُ خَرَسَاءِ
السَّاحَةُ الْكُبْرَى تَغْصُّ رَحَابُهَا	بِالْأَبْرِيَاءِ ، وَتَعْصِفُ الْأَصْدَاءُ
سَنَعُودُ! حَنْجَرَةٌ تَصْبِيحُ ، وَهَتَفَةٌ	تَمْضِي مَعَ التَّصْفِيقِ ، فِيهِ هَبَاءُ
وَبَلَاغَةٌ رُصِفَتْ خَطَابًا سَاحِرًا	وَقَصِيدَةٌ أَلْفَاظُهَا حَمْرَاءُ

سنعود! أسمعها وتطبق عزلي  
أنا مثلهم يا شاعري عربية  
أنا مثلهم، لكنني - وأقولها -  
خرجوا، ولذت بغرفتي ماهزني  
لم تختلج قدماي حين تحركوا  
مضت السنون، ومرّ ألف مجنّح  
فإذا القبور كما وعتها مخني  
شبح يلوح وومضة مجنونة  
ومواكب من آملين .. تلفّهم  
والساحة الكبرى خطيب ساحر  
مضت السنون، وخيمتي ممدودة  
لم تختلج قدماي يوما، لم أسر  
أرايت كافرة بكل شعاعة  
عفو الضياء... إذا أتتك رسالتني  
اليوم تكتسح البروق سماءنا  
ويلعلع المذياع .. فالدنيا لنا  
ذكرى تثار وتنطوي فكأنها  
وضريبة الوطن الشهيد تحية

فوقي وتغفر حولي الأشلاء  
لمعت على مأساتها الأسماء  
عن كل ماصخبوا به صماء  
رعد، ولا سمرت دمي أنواء  
أتلوم يآسي؟ إنني شلاء  
في خاطري، ونعرت الأشياء  
مدودة، والليل والصحراء  
في الأفق تسحق وهجها الظلماء  
في زهوهم دوامة سوداء  
يطأ النجوم، ونفحة عصاء  
فوقي، تقهقه حولها الأشلاء  
في موكب، لم يسبني لألاء  
مثلي تجود بها عليّ سماء  
وبكل حرف غيمة ربداء  
وتموج فيها العزة القعساء  
وعلى خطانا تركع العلياء  
عبء، كذلك تسقط الأعباء  
صخب، ولافتة علت، ونداء!!

★ ★

## أهم المصادر والمراجع

### أ) كتب ودراسات

- ١ - ابراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية في ثورتها القومية - نشر نادي الإخاء العربي ، حيفا .
- ٢ - ابراهيم العريض : الشعر وقضيته في الأدب العربي الحديث - بيروت ١٩٥٥
- ٣ - أسماء النقيب : قضية فلسطين من خلال الشعر العربي (باستثناء شعر أبنائها) - رسالة جامعية ١٩٥٦ - ١٩٥٧ ( على الآلة الكاتبة )
- ٤ - أكرم زعيتر : القضية الفلسطينية - القاهرة ١٩٥٦
- ٥ - أنيس المقدسي : العوامل الفعالة في الأدب الحديث - بيروت
- ٦ - بديع حقي : التراب الحزين - بيروت ١٩٦٠
- ٧ - جمال عبد الناصر : فلسفة الثورة - مصر ١٩٥٦
- ٨ - جورج صيدح : أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأميركية - بيروت ١٩٥٧
- ٩ - زكي المحاسني : ابراهيم طوقا شاعر الوطن المغصوب - القاهرة ١٩٥٥
- ١٠ - سعدي بسيسو : امرائيل خيانة وجناية - حلب ١٩٥٦



- ١١ - شفيق جبوري : أنا والشعر - مصر ١٩٥٩
- ١٢ - عارف العارف : النكبة : نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود  
صيدا - بيروت ١٩٥٦ ج ١
- ١٣ - عبد الله التل : مذكرات التل - مصر ١٩٤٩
- ١٤ - عبد الله عبد الدايم : القومية والإنسانية - بيروت ١٩٥٧
- ١٥ - عمر فروخ : شاعران معاصران : طوقان والشابي -  
بيروت ١٩٥٤
- ١٦ - قسطنطين زريق : معنى النكبة - بيروت ١٩٤٨
- ١٧ - محمد خليفة التونسي : الخطر اليهودي ( ترجمة بروتوكولات حكماء  
صهيون ) القاهرة ١٩٥١
- ١٨ - محمد مندور : قضايا جديدة في أدبنا الحديث - بيروت ١٩٥٨
- ١٩ - محمد عمر الخطيب : من أثر النكبة - دمشق ١٩٥١
- ٢٠ - منيف الرزاز : معالم الحياة العربية الجديدة - القاهرة ١٩٥٣
- ٢١ - موسى العلمي : عبوة فلسطين - بيروت ١٩٤٩
- ٢٢ - نجيب صدقة : قضية فلسطين - ١٩٤٦
- ٢٣ - وليد قحايي : النكبة والبناء - بيروت ١٩٥٦
- ٢٤ - يسار العسكري : قضية فلسطين من خلال شعر أبنائها - رسالة  
جامعية : ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ( على الآلة الكاتبة )
- ٢٥ - يوسف هيكل : القضية الفلسطينية - يافا ١٩٣٧

### ب ( دواوين ومجموعات شعرية

- ٣٦ - ابراهيم طوقان : ديوان ابراهيم - بيروت ١٩٥٥
- ٣٧ - أحمد زكي أبو شادي : من السماء - نيويورك ١٩٤٩

- ٢٨ - أحمد فهمي : أحلام العودة - دمشق ١٩٥٧
- ٢٩ - الياس فرحات : الحريف ( الجزء الثالث من ديوانه ) -  
سان باولو ١٩٥٤
- ٣٠ - أمين شتار : المشعل الخالد - البيروه الاردن ١٩٥٧
- ٣١ - ايليا أبو ماضي : الحائل - بيروت مكتبة صادر ( بدون تاريخ )
- ٣٢ - بشارة الخوري : الهوى والشباب - دار المعارف بمصر ١٩٥٣
- ٣٣ - جورج صيدح : نبضات - باريس ١٩٥٣
- ٣٤ - " " : النوافل - بونس أيرس ( الاوجنتين ) ١٩٤٧
- ٣٥ - خليل زقطان : صوت الجياح - القدس ١٩٥٣
- ٣٦ - خليل مردم بك : ديوان خليل مردم بك - دمشق ١٩٦٠
- ٣٧ - رشيد سليم الخوري ( الشاعر القروي ) : الأعاصير - صيدا ١٩٤٩
- ٣٨ - سلمى الخضراء الجيوسي : العودة من النبع الحالم - بيروت ١٩٦٠
- ٣٩ - سليمان العيسى : رسائل مؤرقة - بيروت ١٩٦٠
- ٤٠ - سمير صبر : غداً نعود - بدون مكان ولا تاريخ
- ٤١ - شعراء جمعية الرابطة العلمية الأدبية في النجف الاثرف : الفلسطينيين  
- النجف ١٩٣٩
- ٤٢ - صلاح الدين عبدالصبور : الناس في بلادي - بيروت ١٩٥٧
- ٤٣ - عبد الرحيم محمود : ديوان عبد الرحيم محمود - طبع عام ١٩٥٨
- ٤٤ - عبد الكريم الكرمي ( أبو سلمى ) : أغنيات بلادي - دمشق ١٩٥٩
- ٤٥ - " " " : المشرّد - دمشق ١٩٥٣
- ٤٦ - عبد الوهاب البياتي : أباريق مهشمة - بيروت ١٩٥٥
- ٤٧ - علي هاشم رشيد : أغاني العودة - مصر ١٩٦٠
- ٤٨ - عمر أبو ريشة : ديوان شعر - حلب ١٩٣٧
- ٤٩ - " " : مختارات - بيروت ( بدون تاريخ )

- ٥٠ - عيسى الناعوري : أناشيدي - حماه ( بدون تاريخ )  
 ٥١ - فدوى طوقان : وجدتها - بيروت ١٩٥٧  
 ٥٢ - " " : وحدي مع الأيام - مصر ١٩٥٢  
 ٥٣ - كمال ناصر : جراح تنغي - بيروت ١٩٦٠  
 ٥٤ - محمد العدناني : اللبيب - صيدا بيروت ١٩٥٤  
 ٥٥ - محمد علي الحوماني : النخيل - ( بدون مكان ولا تاريخ )  
 ٥٦ - محمود حسن اسماعيل : نار وأصفاد - مصر ١٩٥٩  
 ٥٧ - محمود الحوت : المهزلة العربية - بغداد ١٩٥١  
 ٥٨ - نزار قباني : قصائد من نزار قباني - بيروت ١٩٥٦  
 ٥٩ - نسيم عريضة : الأرواح الحائرة - نيويورك ١٩٤٦  
 ٦٠ - هارون هاشم رشيد : أرض الثورات - بيروت ١٩٥٩  
 ٦١ - " " : عودة الغرباء - بيروت ١٩٥٦  
 ٦٢ - " " : غزة في خط النار - بيروت ١٩٥٧  
 ٦٣ - " " : مع الغرباء - القاهرة ١٩٥٤  
 ٦٤ - يوسف الخطيب : العيون الظماء للنور - دمشق ١٩٥٥  
 ٦٥ - " " : عائدون - بيروت ١٩٥٩

### ج ( مخطوطات شعرية

- ٦٦ - أنور العطار  
 ٦٧ - حسن البحيري  
 ٦٨ - عبد الرحمن الكيالي  
 ٦٩ - عمر بهاء الأميري  
 ٧٠ - يحيى الدين الحاج عيسى

## د) المجلات

- ٧١ - الآداب - تصدر في بيروت
- ٧٢ - الأديب - « « «
- ٧٣ - الثقافة - « « « دمشق
- ٧٤ - الرائد العربي - تصدر في حمّاه
- ٧٥ - الرسالة - كانت تصدر في القاهرة
- ٧٦ - العربي - تصدر في الكويت
- ٧٧ - المسلمون - « « « دمشق

★ ★

## فهرس الموضوعات

الصفحة

٥

الاهداء

١٠ - ٧

تمهيد

دور الشعر في المعركة - جمع شعر النكبة - منهجنا في الدراسة  
- عملنا فاتحة لدراسة أدب النكبة .

### الفصل الاول

١٧ - ١١

الدور الاول : النكبة قبل قرار التقسيم

الجدور البعيدة للنكبة (١١) - اليهود يشتررون الانكليز (١٢) -  
الثورة العربية وإخفاقها (١٣) - جهود الصهيونية ووعد بلفور  
(١٤) - الوكالة اليهودية وإقامة المستعمرات (١٥) - إرهابات  
النكبة وتخاذل العرب (١٥) - الحرب العالمية الثانية والفيلق  
اليهودي (١٦) - قضية فلسطين في منظمة الأمم المتحدة وقرار  
التقسيم (١٦) .

### الفصل الثاني

٣١ - ١٨

شعر النكبة في الدور الاول

صوت الشعر يحذر وينذر (١٨) - ابراهيم طوقان : ترجمته

(١٩) - تصوير أحداث الدور الأول للنكبة في شعره (٢٠-٢٥) -  
عبد الرحيم محمود : ترجمته (٢٦) - بطولته واستراكيته وأثرهما  
في شعره (٢٧) - عبد الكريم الكرمي ( أبو سامي ) : ترجمته  
(٢٨) - نغمته على الحونة ويساريته (٢٩-٣٠) - برهان الدين  
العبوشي : اتجاهه اليميني وغوذج من شعره (٣١) - شعر النكبة  
في الدور الأول يتلاقى كله على الدعوة الى القوة والتعبئة (٣١) .

## الفصل الثالث

الدور الثاني : النكبة بعد قوار التقسام ٣٢ - ٣٩

جيش الانقاذ (٣٢) - مجزرة دير ياسين وتدفق اللاجئين (٣٣) -  
الجيوش العربية تزحف (٣٣) - مطامع الملوك والرؤساء (٣٤) -  
التمسيلية الحربية (٣٥) - الهدنة الأولى (٣٦) - عودة الحرب ثم  
إيقافها (٣٧) - ضم الضفة الغربية الى الشرقية (٣٧) - الحصار في  
الغولوجة وأثره في ثورة الجيش المصري (٣٨) - الهدنة وتجميد  
الموقف (٣٩) .

## الفصل الرابع

شعر النكبة في الدور الثاني ٤٠ - ٧٧

النكبة أعنف تجارب أدبنا المعاصر (٤٠) - كثرة الشعر في هذا  
الدور (٤١) - الشعر يقص حكاية النكبة : ذكرى الخامس عشر  
من أيار ( عيسى الناعوري ٤١ ) - بداية المهزلة العربية ( محمود  
الحوت ٤٢ ) - تراجع جيوش الأصفار السبعة ( خليل زقطان  
٤٣ ) - اللاجئين وانتمائهم بالهرب من المعركة - رد التهمة

( محمد العدناني ٤٣ وعيسى الناعوري ٤٤ ) - حملة على خيانات  
 الملوك ( أبو سلمى ٤٥ ) - حملة على الجامعة العربية (٤٦) - مهاجمة  
 الاستعمار وأذنبه ( هارون هاشم رشيد ٤٧ ) - مأساة اللاجئين  
 المشردين بلا غوث ولا نجدة ( أبو ريشة ، محيي الدين الحاج  
 عيسى ، محمود الحوت ٤٨ - ٤٩ ) - سؤال كل لاجيء عن بلده  
 وجواب الشعر ( بشير قبطي ٥٠ ، هارون هاشم رشيد ، يوسف  
 الخطيب ٥١ ) - شقاء اللاجئين وبؤسهم مادة لدواوين شعرية  
 كاملة (٥٢) - تصوير آلام سكان الحيام ( كاظم جواد ٥٣ ، عبد  
 الوهاب البياتي ٥٣ ، بديع حقي ٥٤ ، كمال ناصر ٥٥ ، محيي الدين  
 فارس وفدوى طوقان ٥٦ ، عيسى الناعوري و خليل زقطان  
 ٥٧ ) - صورة اليأس والقلق والشك والنقمة والحق ( يوسف  
 الخطيب : ترجمته وعروبيته ونماذج من شعره ٥٨ - ٦١ ) - الحق  
 يوضع مع الحليب ( فدوى طوقان ٦٢ ) - الحق في قلب كل  
 عربي ( محمد بدر الدين ٦٢ ) - الانقلابات الشعبية وتحقيق الوحدة  
 بين مصر وسورية عوامل في تخفيف حدة اليأس والنقمة والحق  
 ( ٦٣ ) - طور الايمان بالشعوب ( يوسف الخطيب ، أبو سلمى ،  
 خليل زقطان ٦٤ ) - التفاؤل والحنين الى الوطن المغصوب  
 ( محيي الدين الحاج عيسى وأبو سلمى ٦٥ ويوسف الخطيب ٦٦ ) -  
 الدعوة الى الثأر والعودة ( عيسى الناعوري و خليل زقطان  
 ٦٨ و كمال ناصر ٦٩ ) هارون هاشم رشيد : شاعر العودة غير  
 مدافع ، تجارب اللاجئين الغرباء في دواوينه ، سخريته من دعاة  
 السلام (٧٠ - ٧٣) - عودة الثقة بالنفس العربية وتحمدي اسرائيل  
 ( سمير صنبو ٧٣) - صمود غرة أمام العدوان ( هارون هاشم رشيد

- (٧٥) - الأمة العربية ولدت من جديد ( صلاح الدين عبد الصبور  
٧٦ ) - أثر النكبة في توحيد الأمة العربية ( أبو سلمى ٧٧ ) .

## الفصل الخامس

### خصائص شعر النكبة

٧٨ - ٩٤

الشعر دلل على أن النكبة كارثة قومية جامعة (٧٩) - أصدق  
ألحان النكبة غناها أبناء فلسطين (٨٠) - في شعر النكبة صورة  
لختلف التيارات الاجتماعية في العالم العربي (٨١) - أصفى ألحان  
النكبة (٨٢) - في شعر النكبة صورة المخاض النفسي ومراحله  
(٨٢ - ٨٤) - غنى العنصر العاطفي وفقر العنصر الفكري  
(٨٤ - ٨٥) - إهمال قيمة العنصر الأخلاقي (٨٦) - أثر النكبة  
في دعم الفكرة الشعرية الملتزمة (٨٧ - ٨٩) - الثورة على التقاليد  
الشعرية القديمة وأثر النكبة في صياغة الشعر الجديد ومضمونه  
(٨٩ - ٩٣) - خاتمة : شعر النكبة هو لباب شعرنا المعاصر  
والنكبة هي العامل الرئيسي الفعال في أدبنا المعاصر كله (٩٣ -  
٩٤) .

## الفصل السادس

### منتخبات من ديوان النكبة

٩٥ - ١٧٣

بشارة الخوري (٩٦) - محمد مهدي الجواهري (٩٧) - عمر أبو  
ريشة (٩٩) - نسيم عريضة (١٠٢) - إيليا أبو ماضي (١٠٤) -  
الياس فرحات (١٠٦) - جورج صيدح (١١٠) - محمد علي



الحوماني (١١٥) - خليل مردم بك (١١٨) - شفيق جبوري (١١٩) -  
أنور العطار (١٢٠) - محمود حسن اسماعيل (١٢٣) - ابراهيم  
طوقان (١٢٥) - فدوى طوقان (١٢٩) - أبو سلمى (١٣٤) -  
يوسف الخطيب (١٣٩) - هارون هاشم رشيد (١٤١) - علي هاشم  
رشيد (١٤٤) - عيسى الناعوري (١٤٥) - حسن البحيري (١٤٨) -  
محمود الحوت (١٥١) - كمال ناصر (١٥١) - سلمى الخضراء الجيوسي  
(١٥٢) - عزيزة هارون (١٥٥) - عمر بهاء الأميري (١٥٦) - نزار قباني  
(١٥٧) - علي محمود طه (١٦٣) - أحمد زكي أبو شادي (١٦٤) -  
الشاعر القروي (١٦٥) - أحمد فهمي (١٦٨) - أمين شتار  
(١٦٩) - سليمان العيسى (١٧٢) .

١٧٨-١٧٤

### أهم المصادر والمراجع

كتب ودراسات (١٧٤) - دواوين ومجموعات شعرية (١٧٥)  
- مخطوطات شعرية (١٧٧) - المجلات (١٧٨) .

١٨٣-١٧٩

### فهرس الموضوعات



## المؤلف

يشكر مدير مطبعة جامعة دمشق وموظفيها  
على ما بذلوه من جهد وعناية  
في طبع هذا الكتاب

تم طبع الكتاب في  
١٩٦٠ / ١١ / ٢٧



## للمؤلف

### • اندلسيات شوقي

« بحث تطبيقي في أدب شوقي في المنفى وأثر الأندلس في شخصيته وفنه »  
( مطبعة جامعة دمشق ١٩٥٩ )

### • أخبار البحري

لأبي بكر الصولي  
« تحقيق الكتاب ونشره لأول مرة »  
( مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨ )

### • إسلاميات

« أحاديث ومقالات »  
( معد للطبع )

### • إعتاب الكتاب

لأبي عبد الله بن الأبار  
« تحقيق الكتاب ونشره لأول مرة »  
( معد للطبع بتكليف من المجمع العلمي بدمشق )